الثمار الدانية في فروع العربية

دروس مختارة

الدكتور/ صلاح أبو الوفا

كلية الآداب

الجزء الثاني

العام الدراسي ٢٠٢٢ـ ٢٠٢٣م

المقدمة

الحمد لله واهب النعم، نحمده ونثني عليه بما هو أهله، فَلهُ الْحَمد كفاء أياديه، وَله الشُّكْر المضاهي مننه، وَله الْمِنَّة الْمُوازِية إنعامه [1]، وَله الثَّنَاء الْمجَازِي أفضاله، وَله الدُّعَاء الممتري مزيده، نحمدكَ يا مَنْ نوَّرَ مقاماتِ البلغاءِ بمصابيحِ المعاني، وزَيّنَ ألسنةَ الفصحاءِ بجواهرِ اللُّغَى وبواقيت المباني، وصَرَفَ مالهم مِن الخُطا عن نهج الخَطا، وكَشَفَ لهم عن وجهِ الصوابِ ذيّاكَ الغِطا [2] ، الحمد لله ربّ العالمين الذي بِحَمْده نستفتح أقوالنا وأعمالنا، وبذكره نستنجح طلباتنا وآمالنا، إيَّاه نستخير وبعدله نستجير، وبحبله نعتصم، ولأمره نستسلم، وَإِلَيْهِ نلجأ ونجأر، وعلى فضله نشكر، ولجميل عفوه نرجو، ولجزيل ثوابه نأمل، وإيّاه نستعين، وعَلَيْهِ نتوكل، لَهُ الْحَمد على المواهب الَّتِي لَا نحصيها عددا، وَلَا نَعْرِف لَهَا أمداً، حمداً نبلغ بِهِ رِضَاهُ، ونستدر بِهِ نعماه، وحتى يبلغ الحمد منتهاه، وَله الشُّكْر على فضائله ونعمه الَّتِي أولاها ابْتِدَاء، ووعد على شكرها جَزَاء، شكرا نبلغ بِهِ من جهدنا عذرا، ونرتهن بِهِ ذخْرا وَأَجرا، ونستديم بِهِ من نعْمَة الرَّاتِب الرَّاهِن، ونستجر بِهِ وعده بالمزيد، " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" إبراهيم آية ٧، اللَّهُمَّ كَمَا علمتنا بالقلم، وأنطقتنا باللسان الْأَفْصَح، وأريتنا لفم الطَّرِيق الأوضح، وهديتنا لصراطك الْمُسْتَقيم، وفقهتنا فِي الدّين، فأوزعنا إن نطلب الزلفى لديك، بِالْحَمْد لَك وَالثنَاء عَلَيْك، ووفقنا لارتباط آلَائِكَ بشكرها، وأَعِذْنا من أَن يُحَلَّ عقالُها بكفرها، وسددنا لقَضَاء حَقك وَأَدَاء فرضك، وشكر نِعْمَتك، وَلُزُوم محجتك، والتزام حجتك، والاستضاءة بنورك الَّذِي لَا يضل من جعله معلما لدينِهِ، وعلماً يتلقاه بِيَمِينِهِ، وجنبنا من زلل اللِّسَان والقلم الْقدَم، فَاجْعَلْ يا ربّنا نطقنا ثَنَاء على عزتك، وصمتنا فكراً فِي قدرتك، وجنبنا فِي جَمِيع أحوالنا ومختلف أقوالنا وأفعالنا مَا نستجلب بِهِ غضبك، والصلاة والسلام الأكملين التامين على نبيّك مُحَمَّد

---

[1] الألفاظ (الكتابة والتعبير)، المؤلف: أبو منصور الباحث محمد بن سهل بن المَرْزُبان الكرخي (المتوفى: نحو ٣٣٠هـ)، المحقق: د حامد صادق قنيبي، الناشر: دار البشير - عمان الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ ١٩٩١م، المقدمة.

[2] سهم الألحاظ في وهم الألفاظ، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي رضي الدين المعروف بـ ابن الحنبلي (المتوفى: ٩٧١هـ)، المحقق: الدكتور حاتم صالح الضامن، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، من المقدمة.

صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، الذي انجلت به الظلم، وكملت به القيم، وتمت به النعم، واصطفيته بوحيك الَّذِي أوحيته إِلَيْهِ، وكلامك الَّذِي أنزلته عَلَيْهِ، مبلغا لرسالتك، نَادِيًا إِلَى عبادتك، صادعا بِالدُّعَاءِ إِلَى توحيدك، مُعْلنا بتعظيمك وتمجيدك. ناصحاً لأمته وعبيدك، صلى الله عَلَيْهِ صلاتاً نامية زاكية، على مَنْ هو سابقُ البلغاءِ في حَلْبَةِ اللُّغَى، ومِصْقَعُ مصاقعِ الخُطباءِ فليذرِ اللّغْوَ مَنْ لَغَا، محمدٍ الناطقِ بالصوابِ، الهادي إلى هَدْي الثوابِ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ وأزواجِهِ وأحبابِهِ، ما اختلفتِ المباني اختلافَ الأشباحِ، وائتلفت المعاني مثلَ ائتلافِ الأرواح وسلم سَلاما طيبا كثيرا وعَلى أَصْحَابه وَأهل بَيته الَّذين أذهب عَنْهُم الرجس وطهرهم تَطْهِير.[٣]

ثمّ أمّا بعد

فيرحم الله القائل (من الطويل) :

ومَنْ يَصْطَبِرْ لِلْعِلْمِ يَظْفَرْ بِنَــيْلِــه ومَنْ يَخْطُبِ الحسْناءَ يَصْبِرْ علَى البَذْلِ

ومَنْ لا يُذِلَّ النَّفْسَ في طلبِ العُلا يَسِيرًا يَعِشْ دَهْــرًا طَويــلًا أخا ذُلِّ

ومن هذا المنطلق الحميد فقد انتقيت هذه الثمار من بستان العربية الوارف، اقتطفتها بعناية أقدمها لطلابي مبتغيا بها وجه الله عز وجل، وراجيا منه التوفيق والسداد والإخلاص، لعلي أكون واضعا ولو لبنة صغيرة في صرح العربية الشامخ، انتقيت أجزاء هذا الكتاب بعناية ودقة؛ حتى يخرج في صورة ميسرة سهلة التناول، قريبة الفهم، راجيا الفائدة قدر المستطاع، اشتملت على الأبواب الأولى من النحو العربي، وكذلك من أبواب الصرف العربي، تلك الأبواب التي تعتبر اللبنات الأولى لفهم قواعد النحو والصرف، ثم انتقيت بعض النصوص الأدبية المتنوعة، أقدمها في صورة سهلة وميسرة، ثم اخترت جزءًا من البلاغة العربية، وجزءًا من المعجم العربي، مراعيا في كل ذلك الإيجاز والفائدة قدر الإمكان.

---

[٣] نثر الدر في المحاضرات، المؤلف: منصور بن الحسين الرازي(ت: ٤٢١هـ)، المحقق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ١: ٢١، ٢٢، المقدمة بتصرف يسير.

والله أسأل أن يجعله عملا- على قلته- مقبولا مفيدا لطلابي، ولمحبي العربية على اختلاف تخصصاتهم العلمية، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

النحو العربي

توطئة

قيل إن أوّل من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي؛ حيث جاء إلى زياد بن أبيه والي البصرة فقال: إنيّ أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وقد تغيرتْ ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع كلاماً يعرفون أو يقوِّمون به كلامهم؟، قال: لا. فجاء رجلٌ إلى زيادٍ فقال: أصلح الله الأمير، توفّي أبانا وترك بنوناً. فقال زياد: توفّي أبنانا وترك بنونا؟ ادعوا لي أبا الأسود. فقال له: ضع للناس ما أردت أن تضع لهم، ولذا قيل إن أوّل من تكلَّم في النحو أبو الأسود، وزعم أن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أمرَه بذلك، وقد برع بعد أبي الأسود ميمونٌ الأقرن، وبعد ميمونٍ عنْبسة الفيلُ، وبعده عبد الله بن أبي إسحاق، فقاس وأكثر، ثم برع بعده أبو عمرو بن العلاء، ولحقه الخليل بن أحمد، إلاّ أنّ نظر أبي عمرو أقدمُ من نظر الخليل، وقيل إن الخليلُ أتى في النحو بما لم يأت بمثله أحدٌ قبله في تصحيح القياس، واللّطافة، والتصريف، وكان يونس في عصر الخليل، وبقي بعده مدّة طويلة، ويقال إنّ سيبويه مات قبل يونس، وكان عيسى بن عمر في عهد أبي عمرو وعهد الخليل، وكان بارعاً أيضاً، وقيل إن سيبويه جمع علمه من النحويين القدماء كلّهم؛ ولذا فقد ذكر في كتابه مذهب الخليل، ومذهب يونس، ومذهب أبي عمر، ومذهب ابن أبي إسحاق، وذكر مذاهبَ قوم غير هؤلاء، على أنّه لم يرتضها فدفعها، وصحّح علم النحويّين القدماء كلّهم، وجمع الأبنية كلّها.

ثم كان من بعد سيبويه الأخفش، وله نحوٌ كثير، وله كتبٌ كثيرة، ثم كان بعد هذه الطبقة أبو عمر الجرمي وأبو عثمان، فهذان بارعا هذه الطبقة، وكان فيها من هو دون هذين وهما: الزياديّ والرّياشي، فأما أبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد فليسوا بنحويين حذّاق، ولكنّ أبا زيد من أحذقهم بالنّحو، ولا يدخل هؤلاء في جملة النحويّين، ثم الذي برع بعد هذه الطبقة محمد بن يزيد الأزدي، وأبو يعلى بن أبي زرعة، إلاّ أن ابن يزيد تناهي في البراعة حتّى لحقَ بطبقةِ من كان قبله. أما من الكوفيين فقد برع على مذاهبهم: الكسائيّ، وأستاذه من أهل البصرة عيسى بن عمر، والكسائيّ أستاذ الفرّاء، ثم برعَ بعد هذين في نحو الكوفيّين أبو عبد الله الطّوال، وابن قادم، وسلمة بن عاصم، ثم برع بعد هذين وجاوزهم على مذاهبهم أحمد بن يحيى الشيباني.[٤]

من أخبار النحاة والعلماء:

قيل إن وهب بن جرير بن حازم حدّث عن أبيه قال: " يا بنيّ! تعلّم النحو، فإنك لم تعلم منه باباً إلاّ تدرّعت من الجمال سربالاً"، وقد أخبر أبو محمد الحسن بن علي بن إسحاق القاضي قال: حدّثت عن أبي حاتم قال: قدم علينا محمد بن مسلم الكوفيّ عاملاً في الخراج والصّدقات، فصرتُ إليه مسلّماً فقال لي: من علماؤكم بالبصرة؟ فقلت: المازنيّ من أعلمهم بالنّحو، والرياشيُّ من أعلمهم باللّغة، وهلالُ الرأي من أفقههم، وابن الشاذكونيّ من أعلمهم بالحديث، وابن الكلبيّ من أعلمهم بالشّروط، وأنا

---

[٤] **المصون في الأدب، المؤلف: أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (ت: ٣٨٢هـ)، المحقق: عبد السلام هارون، الناشر: مطبعة حكومة الكويت، ط٢، ١٩٨٤ م، ص ١١٨- ١٢١.**

أنسب إلى علم القرآن. فقال لكاتبه: اجمعهم في غد. فلما اجتمعنا قال: أيُّكم المازني؟ فقال أبو عثمان: هأنذاك أصلحك الله. فقال: ما تقول في كفّارة الظّهار؟ أيجوز فيه عتق غلام أعور؟ فقال له: أصلحك الله، وما علمي بهذا يحسبه هلال الرأي فالتفت إلى هلال الرأي فقال: أرأيت قول الله عزّ وجلّ: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" المائدة ١٠٥، بما انتصب هذا الحرف؟ فقال: أعزّك الله، أنا لا أحسن هذا، إنما يحسنه الرياشيّ. فقال يا رياشيّ، كم حديث روى ابن عونٍ عن الحسن؟ فقال: أصلحك الله، هذا يحسنه ابن الشاذكوني فالتفت إلى ابن الشاذكونيّ فقال: كيف تكتب كتاباً بين رجلٍ وامرأة أرادت مخالعته على إبرائه من صداقها؟ فقال: أعزّك الله، هذا يحسنه ابن الكبّي. فقال لابن الكبيّ: من قرأ: " ألا إنّهم تثنوني صدورهم " فقال له: أعزّك الله، هذا يحسنه أبو حاتم. فقال لأبي حاتم: كيف تكتب كتاباً إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة وما جرى عليهم العام في ثمارهم؟ فقلت له: أعزّك الله، لست صاحب بلاغة وكتب، إنما أنسب إلى علم القرآن. فقال: انظر إليهم، قد أفنى كلّ واحد منهم ستين سنةُ في فنٍّ واحد من العلم حتّى لو سئل عن غيره لساوى فيه الجهّال، لكنّ عالمنا بالكوفة لو سئل عن هذا كلّه أصاب، يعني الكسائيّ.[٥]

[٥] السابق، ص ١٢٢- ١٢٥.

المبتدأ والخبر

المبتدأ والخبر هما ركنا الجملة الاسمية الأساسيان، بهما تكتمل وعليهما ترتكز، فإن وجد المبتدأ فلابد من وجود خبر له، وإن وجد الخبر فلابد من وجود المبتدأ، ونبدأ الدراسة، بالحديث عن المبتدأ، وتشمل دراسة العناصر الآتية: تعريف المبتدأ، أقسامه، حكم مطابقة الوصف لمرفوعه، رافعهما، أحوال الابتداء بالنكرة، الخبر وأنواعه، أحوال المبتدأ والخبر من حيث: التقديم والتأخير، والذكر والحذف.

تعريف المبتدأ:

هو الاسم الصريح أو المؤول بالصريح، المرفوع، المجرد عن العوامل اللفظية – غير الزائدة–، المخبر عنه، أو الوصف الرافع لما يستغنى به عن الخبر، فالاسم الصريح مثاله قوله تعالى: (الله لطيف بعباده)[٦]، وقوله تعالى: (محمدٌ رسولُ الله)[٧]، وقولك: القرآن واحةُ المؤمن، والشمس آيةٌ من آيات الخالق، والصحة تاجٌ لا يراه إلا المرضى، فالألفاظ: (الله، محمد، القرآن، الشمس، الصحة) فيما سبق كلها من المبتدأ الصريح، وحكم تلك الألفاظ هو الرفع، أما المؤول بالصريح فهو المصدر المنسبك من(أن والفعل)[٨] في مثل قوله تعالى:(وأن تصدقوا خيرٌ لكم)[٩]، فـ(أن تصدقوا) ينسبك منها المصدر (تصدقكم) يقع مبتدأ، والتقدير: تصدقكم خير لكم،

---

[٦] الشورى آية ١٩.

[٧] الفتح آية ٢٩.

[٨] سَبَكه يَسْبُكُه سَبْكًا: أذابه وأفرغه، والسَّبِيكة: القطعة المَذوَّبة. انظر: مختار القاموس مادة (س ب ك) ص ٢٨٨.

[٩] البقرة الآية ٢٨٠.

وقد ينسبك المصدر من الفعل الواقع بعد همزة التسوية في مثل قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) البقرة ٦، فالمصدر المؤول من همزة التسوية والفعل (أأنذرتهم) وقع مبتدأ، وخبره قوله (سواء) مقدم عليه، والتقدير: إنذارك وعدمه سواء. والقول بأنه المجرد عن العوامل اللفظية غير الزائدة فمثاله ما سبق، والقول(غير الزائدة) هو إشارة إلى أن المبتدأ قد تدخل عليه عوامل غير أصلية، نحو: حروف الجر الزائدة أو شبهها، مثل قولك: بحبسك دينارٌ، فالباء هنا زائدة، و(حسب) مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة، وأمثلة ذلك في كتاب الله العزيز قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) آل عمران ٦٢، فـ(من) زائدة مؤكدة، و(إلهٍ) مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة لمناسبة حرف الجر، ويقولون عنه: مجرور لفظا مرفوع محلا، ومنه أيضا قوله تعالى: (فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا) الأعراف ٥٣، فـ(شفعاء) مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة لمناسبة حرف الجر، ومن ذلك قولهم: رُبَّ رجلٍ صالح لقيته[١٠]، فـ(رُبَّ) حرف جر شبيه بالزائد، و(رجلٍ) مبتدأ مرفوع بضمة مقدرة لمناسبة حرف الجر الشبيه بالزائد.

والمبتدأ في كل ما ذُكِر هو مما له خبر يخبر عنه، وقد يأتي المبتدأ وصفًا مكتفيًا بمرفوعه عن الخبر، وأعنى بالوصف هنا: اسم الفاعل، مثل: أناجحٌ الطالبان؟ وما ناجح المهملون، فقد جاء المبتدأ هنا وصفًا (ناجح) اكتفى بفاعله؛ فسدَّ مسدَّ الخبر، واسم المفعول مثل: ما مُكْرمٌ الخبثاء، وهل مضروب الزيدون؟ فقد اكتفى المبتدأ هنا

[١٠] **اعلم أنه يجوز في (صالح) الرفع على المحل، والجر على اللفظ.**

(مكرم، مضروب) بمرفوعه وهو نائب الفاعل (الخبثاء، الزيدون) فسدَّ مسدَّ الخبر، ويشمل أيضًا الصفة المشبهة مثل: هل شجاعٌ المقاتلان؟، وكذلك: أكريمٌ الموسران؟[١١]، فالمبتدأ(شجاع، وكريم) اكتفى بالمرفوع وهو الفاعل (المقاتلان، الموسران) فسدَّ مسدَّ الخبر.

ما الذى رفع المبتدأ والخبر؟

اختلف النحاة في عامل رفع المبتدأ والخبر اختلافًا لا طائل من ورائه **وقد اختار ابن مالك رأى سيبويه ومعه جمهور البصريين وهو: أن المبتدأ مرفوع بعامل معنوي هو الابتداء ،أي: وقوعه في بدء الجملة وأولها، والخبر مرفوع بالمبتدأ**، فقال في ذلك:

ورفعوا مبتدأ بالابتداء كذاك رفع خبر بالمبتدأ [١٢]

أما مذهب الكوفيين فهو أن المبتدأ قد رفع بالخبر، وأن الخبر مرفوع بالابتداء والمبتدأ، على أن أعدل المذاهب التي جاءت فى ذلك هو مذهب سيبويه رحمه الله.

هل يجوز الابتداء بالنكرة؟

التعريف شرط في المبتدأ، ولا يكون نكرة لأن معناها مجهول غير معين [١٣] ، ومن المسلم به أن الإخبار عن غير المعين لا يفيد، ما لم يقارنه ما يحصل به نوع فائدة،

---

[١١] أيسر إيسارًا ويُسْرًا: صار ذا غِنًى فهو مُوسرُ والجمع مياسير، واليسر واليسار والميسرة: السهولة والغنى. مختار القاموس، ص٦٧٤.

[١٢] شرح ابن عقيل ١: ٢٠٠، وضياء السالك ١: ١٧٩.

وهذا الأساس وحده عليه يرجع الحكم على صحة الابتداء بالنكرة، ولا حاجة بنا إلى استقصاء كل المواضع التي ذكرها النحاة.

ونعرض هنا لأهم الحالات التي تظهر فيها الفائدة من النكرة، وهى:

١- **أن يكون خبر النكرة ظرفًا مضافًا لمختص أو مجرورًا مختصًا** [١٤]**، متقدمًا على المبتدأ، حتى لا يلتبس الخبر بالصفة، مثل: في بيتنا ضيف، وعندنا زائرٌ، وعلى المنضدة كتابٌ.** فالكلمات (ضيف، وزائر، وكتاب) مبتدءات وشبه الجمل قبلها خبر عنها، والمجرور في المثالين الأول والثالث، والمضاف إليه في المثال الثاني معارف يصلح الإخبار عنها، فإذا لم تكن مختصة لم يصح فلا يجوز أن نقول: عند رجل ضيف، ولا في بيت زائر.

٢- أن تكون النكرة عامة كأسماء الاستفهام وأسماء الشرط لإفادتها العموم، مثل: من يأت إلينا نكرمْه، وما تنفقه في سبيل الله تجدْه، ومثل: من أبوك؟ وما عندك؟ فكل من (من وما الشرطيتين) في المثال الأول والثاني، و(من وما الاستفهاميتين) في المثال الثالث والرابع، قد وقعت مبتدأ وما بعدها هو الخبر.

---

[١٣] لم يشترط سيبويه والمتقدمون لجواز الابتداء بالنكرة إلى حصول الفائدة. انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبى، مصر (د.ت)، الجزء الأول، ص٢٠٤.

[١٤] أي صالحًا للإخبار عنه. انظر: شرح الأشموني ١: ٢٠٤، ومثالها في كتاب الله : (وفوق كلِّ ذي علم) يوسف ٧٦، وقوله (لكلّ أمةٍ رسولٌ)،يونس ٤٧.

٣- أن تخصص النكرة بوصف لفظًا أو تقديرًا، فمثال النكرة التي وصفت بملفوظ قوله تعالى: (ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشرك ولو أعجبكم)[١٥]، ومثالها كذلك قول ابن مالك: رجلٌ من الكرام عندنا، ومثالها: كلمةٌ طيبةٌ أفضل من إعراض، ومما يفيد التخصيص بنفسه(المصغر)، في مثل: شجيرةٌ نبتت في الحديقة؛ إذ المعنى: شجرة صغيرة نبتت، ومن ذلك أيضا (ما التعجبية) في مثل: ما أكرم العرب، فالمعنى شيءٌ عظيم كرَّم العرب.

٤- أن تدل النكرة على مدح، أو ذم، أو تهويل، مثل: شجاعٌ في المعركة، وخطيب على المنبر، وجبانٌ مدبر، وجاسوس مقبل، وبلاء في الحرب، وجحيمٌ في الموقعة، ودمارٌ في القتال، فالنكرات(شجاع، وخطيب، وجبان، وجاسوس، وبلاء، وجحيم، ودمار) ساغ الابتداء بها للدلالة على المدح أو الذم أو التهويل.

٥- أن تدل على التنويع والتقسيم؛ مثل: محافظات مصر متنوعةُ الأجزاء، فبعضٌ باردةٌ، وبعضٌ حارةٌ، وبعض معتدلةٌ، ومن ذلك قول امرئ القيس(من المتقارب):

فأَقبَلْتُ زَحْفاً على الرُّكْبَتَيْنِ فَثَوْبٌ لَبِسْتُ، وثَوْبٌ أَجُرّ

فكلمة(ثوب) نكرة أفادت التنويع؛ ولذلك وقعت مبتدأ، ومنه قول النمر(من المتقارب):

فيــومٌ علينـــا، ويــومٌ لنا ويــومٌ نُساءُ ويــومٌ نسَـرُّ

فكلمة (يوم) نكرة أفادت التنويع والتقسيم؛ ولهذا وقعت مبتدأ.

---

[١٥] **البقرة الآية ٢٢١.**

٦- أن تفيد الدعاء فتكون بذلك في معنى الفعل، ومن ذلك قوله تعالى: (سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ)[١٦]، وقوله تعالي: (سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ)[١٧]، فإن المعنى: أسلم على نوح وعلى إل ياسين، أو سلم أو ادع بالسلام عليهم، ومن ذلك أيضا قوله تعالى: (ويلٌ للمطففين)[١٨]، وقد تفيد النكرة التعجب، نحو قول ضمرة (من الكامل):

عَجَبٌ لِتِلْكَ قَضِيَّةٍ وَإِقَامَتِي فِيْكُمْ عَلَى تِلْكَ القَضِيَّة أَعْجَبُ

فعجب هنا نكرة وقعت مبتدأ، وقد ساغ الابتداء بها لإفادتها التعجب، وخبرها شبه الجملة (لتلك)، وقضيةٍ بدل [١٩] .

٧- أن تقع بعد "لولا"، ومن ذلك قول الشاعر (من البسيط):

لوْلا اصْطِبارٌ لأَوْدَى كُلُّ ذي مِقَةٍ لَمَّا استقَلَّتْ مَطاياهُنَّ لِلظَّعْنِ

فكلمة (اصطبار) مبتدأ، وخبره محذوف وجوبًا تقديره: موجود أو حاصل.

٨- أن تقع بعد إذا الفجائية، ومثالها: خرجت فإذا زائر بالباب، فـ(زائر) مبتدأ، وخبره شبه الجملة (بالباب)، وتقول: رأيت أحد أساتذتي فإذا سعادة في قلبي.

٩- أن تقع بعد لام الابتداء، قال صلى الله عليه وسلم: "لغدوةٌ في سبيل الله أو روحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها"، فكلمة (غدوة) مبتدأ، خبره (خيرٌ)، وتقول: لصديقٌ حاضر، ولرجلٌ مسرع.

---

[١٦] **الصافات آية ٧٩.**

[١٧] **الصافات الآية ١٣٠.**

[١٨] **المطففين الآية ١، وطفّف أى نقص المكيال.**

[١٩] **يجوز فيها الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هى أو هذه.**

١٠-أن تقع في أول جملة الحال سواء سبقت بواو الحال أم لم تسبق، نحو قول الشاعر(من الطويل):

سرينا ونجمٌ قد أضاء فمذ بدا محياكِ أخفى ضوءه كلَّ شارد [٢٠]

فالواو هنا للحال، و(نجم) مبتدأ، خبره (قد أضاء) والجملة(ونجم قد أضاء) في محل نصب حال، أما التي لم تسبق بواو الحال فنحو قول الحماسي(من البسيط): [٢١]

الذِّئْبُ يَطْرُقُهَا فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً وَكُلَّ يَوْمٍ تَرَانِي مُدْيَةٌ بِيَدِي

فكلمة (مديةٌ) مبتدأ، خبره شبه الجملة (بيدي)، والجملة في محل نصب حال.

الخبر:

الخبر هو الركن الأساسي الثاني في الجملة الاسمية، وهو الجزء الذى يتمم الفائدة مع مبتدأ غير الوصف المذكور سابقًا، أي: الوصف الرافع لما يستغنى به عن الخبر، مثل: على مجتهدٌ، والفتاةٌ مؤدبةٌ، وقوله (مع مبتدأ) أخرج فاعل الفعل ونائبه، أو اسم الفعل، أو الوصف الرافع لما يستغنى به عن الخبر، وإن كانت تتمم فائدة ما قبلها [٢٢] . قال ابن مالك رحمه الله:

الخبر الجزء المتم الفائدة كالله برٌ والأيادي شاهدة

---

[٢٠] مذ: ظرف زمان فى محل رفع مبتدأ، بدا محيال: فعل وفاعل فى محل جر بإضافة (مذ)، وجملة (أخفى ضوءه ...) فى محل رفع خبر المبتدأ (مُذ).

[٢١] قبله قوله: تركت ضآنى تودّ الذئب راعيها وأنها لا ترانى آخر الأبد

[٢٢] الأشموني ١: ١٩٤.

وقد ذكر المبرد أن خبر المبتدأ لا يكون إلا شيئًا هو الابتداء فى المعنى ، نحو: زيدٌ أخوك[٢٣]، فلا يكون من الخبر فاعل الفعل أو اسم الفعل أو الوصف الرافع لما يستغنى به عن الخبر، وإن كانت تتمم فائدة ما قبلها[٢٤]، وللخبر أنواع ثلاثة: المفرد، والجملة ، وشبه الجملة:

أولاً: الخبر المفرد:

المراد بالخبر المفرد ما ليس جملة لا شبه جملة، ولو كان مثنى أو جمعًا[٢٥]، فنقول: زيد قائم، والزيدان قائمان، والزيدون قائمون، فالخبر في كل منها مفرد، والخبر المفرد إما أن يكون جامدًا أو مشتقًا، **فالخبر الجامد** عند جمهور النحاة هو ما لا يتحمل ضمير المبتدأ إلا إذا أوِّل بمشتق، مثل: هذه شجرة، وهذا جعفر، وذلك فضل، ونحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر مشبهة نفسها بناقته فقدت وليدها(من البسيط):

ترتع مَا رتعت حَتَّى إِذا ادكرت فَإِنَّمَا هِيَ إقبال وإدبار

أَي: صَاحِبَة إقبال وإدبار.[٢٦]، فالخبر في الأمثلة السابقة فارغ من الضمير المستتر، وغير رافع لضمير بارز أو لاسم ظاهر بعده.[٢٧]، وقد ذكر السامرائي كلاما جميلا

---

(٢٣) انظر : المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ط٢ ، ١٩٩٤ ، الجزء الرابع ، ص ١٢٧ ، وجاء فى كتاب سيبويه :"واعلم أن المبتدأ لابد له من أن يكون المبنى عليه شيئًا هوهو ، أو يكون في مكان أو زمان "ظ: الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، الجزء الثاني ، ص:١٢٧، وانظر: الأصول في النحو، المؤلف: أبو بكر محمد ابن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ١: ٢٣٢.

(٢٤) شرح الأشموني ١ : ١٩٤ .

(٢٥) ويشمل أيضًا المركب سواء إضافيًا أو مزجيًا .

٢٦ علل النحو، المؤلف: محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١هـ)، المحقق: محمود جاسم محمد الدرويش، الناشر: مكتبة الرشد، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، ص٣٦٣، والمعنى:

في هذه المسألة، يجمل بنا ذكره، قال: " المصدر هو الحدث المجرد فلا يخبر به عن اسم الذات فلا يصح أن تقول: زيد انطلاق، ومحمد ركضٌ، وخالد بكاءٌ؛ لأن زيدًا ليس انطلاقا، ومحمدًا ليس ركضا، وخالدا ليس بكاء، ولكن قد ورد في اللغة أخبار من هذا القبيل قال تعالى في ابن نوح: " إنه ليس من أهلك إنه عملٌ غيرُ صالح" هود: ٤٦، فقال عنه أنه عمل، فأخبر بالمصدر، عن الذات كما أخبر بالذات عن المصدر، في قوله تعالى: { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ الآخر} البقرة ١٧٧، وقالوا: رجل صوم، ورجل فطر، وإنما أنت سير،... والغرض من هذا الأخبار هو المبالغة بجعل العين هو الحدث نفسه، أي أن ابنك يا نوح تحول إلى عمل غير صالح، ولم يبق فيه عنصر من عناصر الذات، والناقة تحولت إلى حدث مجرد من الذات فليس فيها ما يثقلها من عنصر الذات، وإنما هي تحولت إلى إقبال وإدبار،..."[٢٨]، أما إذا أمكن تأويل الخبر بمشتق تحمل حينها الضمير، نحو: محمدٌ أسدٌ، تريد أنه شجاع ، ويرى الكوفيون أن الخبر الجامد يتحمل الضمير ولو لم يؤول بمشتق.

يقول: إن هذه الناقة ترعى ما دامت ناسية ولدها، فإذا تذكرته أصابتها رعدة واضطراب، فتقبل وتدبر لا يقر لها قرار. ظ: شرح الأشموني، ١: ٤٧٦، وانظر كذلك: شرح التسهيل المسمى «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد»، المؤلف: محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري، المعروف بناظر الجيش (المتوفى: ٧٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ، ٢: ١٠٢٧.

[٢٧] النحو الوافي، المؤلف: عباس حسن (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة عشرة، ١: ٤٦٢.

[٢٨] معاني النحو، المؤلف: د. فاضل صالح السامرائي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، ١: ١٩٣.

أمّا الخبر المشتق فهو ما كان وصفًا: اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، أو صفة مشبهة، أو اسم تفضيل ، ويتحمل ذلك النوع ضمير المبتدأ، ويكون مستترًا فيه، مثل: زيد قائم، والمحمدان قائمان، والمحمدون قائمون، والقصة مفهومة، وخالد كريم، والأسد أقوى من النمر، فالخبر في كل ذلك فيه ضمير مستتر عائد على المبتدأ، وكذلك كل ما أوِّل بالمشتق من الجوامد يتحمل الضمير كالمشتق، مثل: هذا مصري منتسب إلى مصر، وعثمان ذو مال وفير، أي صاحب مال، ففي تلك الأخبار الجامدة التي تؤول بمشتق ضمير مستتر يعود على المبتدأ، وهذا الضمير إما مستتر أو بارز منفصل إذا وجد ما يستوجب انفصاله، ولا يجوز أن يكون بارزًا متصلاً [٢٩]، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله:

والمفرد الجامد فارغ وإن يشتق فهو ذو ضمير مستكن

ثانيًا: الخبر شبه الجملة:

المراد بشبه الجملة هنا الظرف، والجار والمجرور ولا بد فيهما(الظرف والجار والمجرور) أن يكونا تامين حتى يحصل بالإخبار بهما فائدة مثل: الحمد لله، وقوله تعالى:(تبارك الذي بيده الملك)[٣٠]، وقولك: محمد في الكلية، وسعيد عندك، وقوله تعالى:(الركب أسفل منكم)[٣١]، فإذا لم يكن الظرف والجار والمجرور تامّين لم يجز

---

[٢٩] للنحاة كلام كثير حول وجوب إبراز الضمير إذا جرى الخبر على غير من هوله ، وأرى أنه لا طائل من ذكره هنا ، فمن أراد فعليه الرجوع إلى مطولات النحو العربي وسيجد بغيته هناك

[٣٠] الملك آية ١.

[٣١] الأنفال آية ٤٢.

الإخبار بهما، فلا يجوز: محمد الآن، ولا: زيد غدًا، ولا: على بك؛ لعدم الفائدة من ذكرهما، وكلٌّ من الظرف والجار والمجرور إذا وقع خبرًا كان متعلقًا بمحذوف وجوبًا تقديره: كائن أو مستقر أو نحوهما من الأسماء المفردة، وهذا رأى سيبويه، أما الأخفش والفارسي والزمخشري، فالمحذوف عندهم تقديره: كان أو استقر أو غيرهما من الأفعال، وهذا المحذوف هو الخبر، ويجب حذف المتعلق إذا كان استقرارًا عامًا، فإن كان استقرارًا خاصًا نحو: زيد جالس عندك، أو نائم في الدار، وجب ذكره لعدم دلالتهما عليه عند الحذف، وقد ذهب بعض النحاة إلى أن الخبر هو الظرف أو الجار والمجرور، وقال بعضهم إن الخبر هو الظرف أو الجار والمجرور مع متعلقه.

الإخبار بالظرف عن أسماء الذوات والمعاني :

في البداية نشير إلى أن المبتدأ الذى يخبر عنه قد يكون من أسماء الذوات مثل: محمد، والشجرة، والكرسي، وغيرها، وقد يكون من أسماء المعاني، مثل: العلم، الإيمان، والحق، وغيرها، فظرف المكان يصلح أن يقع خبرًا عن المبتدأ المعنى، نحو: العلم عندك، والخير أمامك، والأمل خلفك، كما يصح أن يقع خبرًا عن المبتدأ الذات، نحو: محمد عندك، والشجرة أمامك، والكتاب فوق المنضدة، أما ظرف الزمان فإنه يصح وقوعه خبرًا عن أسماء المعنى، مثل: الصوم غداً، والسفر اليوم، والمحاضرة صباحاً، أما وقوعه خبرًا عن أسماء الذوات فلا يصح إلا إذا حصل بالإخبار به فائدة، فلا نقول: محمد غداً، ولا: زيد اليوم؛ لعدم الفائدة من ذلك، فإن

تخصص الزمان بوصف أو إضافة مع جره بـ(في)، مثل: نحن في يوم طيب، ونحن في شهر رمضان، أو أن يقدر مضافًا، مثل: الهلال الليلة، أي: رؤية الهلال الليلة، جاز الإخبار به، فنقول عندها: الهلال الليلة، والقطن صيفًا، والرطب شهري ربيع، على تقدير: رؤية الهلال الليلة... وغير ذلك.

ثالثًا: الخبر الجملة:

حين تقع الجملة خبرًا للمبتدأ فإنها تكون نائبة عن المفرد، وواقعة موقعه، وهى كلام مفيد مستقل، وقد تكون جملة اسمية، مثل: القرآن خيراته متنوعة، والوحدة أسبابها قائمة، وقد تكون جملة فعلية، مثل قوله تعالى:(اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)[٣٢]، والصدق يهدى إلى البرّ، والإخلاص يكسب صاحبه رضا الناس، فقد وقعت الجمل السابقة خبراً؛ لذا فهي محل رفع.[٣٣]

شروط الجملة الواقعة خبراً:

اشترط النحاة في الجملة الواقعة خبرًا – اسمية كانت أو فعلية – أن تكون مشتملة على معنى المبتدأ الذي وقعت خبرًا عنه؛ ليحصل الربط بينهما.

ويحصل الربط بين جملة الخبر ومبتدئها بواحد مما يلي:

١- الضمير العائد على المبتدأ:

---

[٣٢] البقرة آية ١٥.

[٣٣] اجتمعت الجملتان الاسمية والفعلية في قول الشاعر: البغي يصرع أهله والظلم مرتعه وخيم

سواء كان الضمير مذكورًا وهو الأصل، ففي قولنا: القرآن خيراته متنوعة، القرآن مبتدأ أول، وخيراته مبتدأ ثان، والهاء في خيراته عائدة على القرآن، فهي الرابط، ومتنوعة خبر المبتدأ الثاني، والمبتدأ الثاني وخبره (خيراته متنوعة) خبر المبتدأ الأول(القرآن). وقد يكون الضمير مستترا، كما في قولك: الصدق يهدى إلى البر، فالصدق مبتدأ والضمير الواقع فاعلاً للفعل يهدى عائد على الصدق وهو الرابط في جملة الخبر، إذ التقدير: يهدي هو.

٢- الإشارة إلى المبتدأ: أي احتواء الجملة على ما يشير إلى المبتدأ، وذلك مثل قوله تعالى: (ولباسُ التقوى ذلك خيرٌ) الأعراف ٢٦، فقوله (ذلك) مبتدأ ثان، و(خير) خبره، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ (لباس)[٣٤]، ومن ذلك أيضًا قوله تعالى:(والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار) الأعراف ٣٦، فجملة (أولئك أصحاب النار) في محل رفع خبر المبتدأ (الذين) والرابط بين جملة الخبر والمبتدأ هو الإشارة إلى المبتدأ.

٣-إعادة المبتدأ بلفظه: وأكثر وقوعه في مقام التهويل والتفخيم، وذلك مثل قوله تعالى: (القارعة ما القارعة) القارعة الآيتان ١، ٢، فـ(القارعة) مبتدأ مرفوع بالضمة، و(ما) اسم استفهام مبنى على السكون في محل رفع مبتدأ ثان،(القارعة) خبر المبتدأ الثاني والجملة (ما القارعة) في محل رفع خبر المبتدأ الأول (القارعة)، والرابط بين

---

(٣٤) يمكن تقدير (ذلك) تابعاً على أنه بدل أو عطف بيان فلا شاهد فيه .

جملة الخبر والمبتدأ هو تكرار المبتدأ بلفظه، ومثل ذلك قوله تعالى: (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) الواقعة آية ٢٧.

٤- عموم يدخل تحته المبتدأ: أي: أن في جملة الخبر اسم يشمل المبتدأ، فلو أنك قلت: أبو بكر نعم الرجل، فإن كلمة (الرجل) تدل على جنس يدخل تحته أبو بكر وغيره، والعموم هنا مستفاد من (أل) الدالة على الجنس، لذلك فهو الرابط بين جملة الخبر والمبتدأ، قال ابن مالك رحمه الله:

ومفردا يأتي ويأتي جملة حاوية معنى الذي سيقت له

أما إذا كانت الجملة الواقعة خبرًا هي نفس المبتدأ في المعنى فإنها ليست في حاجة إلى رابط يربطها بالمبتدأ، ويكون ذلك في كل جملة أخبر بها عن المفرد الدال على جملة كحديث وكلام، ومنه ضمير الشأن، ومثال ذلك قوله تعالى: (قل هو الله أحد) الإخلاص ١، فـ(هو) مبتدأ، وجملة (الله أحد) خبره، وهى عينه في المعنى؛ لأنها مفسرة له، والمفسِر عين المفسَر، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم:(أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله)، فأفضل هنا مبتدأ، وجملة (لا إله إلا الله) خبره، ولم تشتمل على رابط؛ لأنها نفس المبتدأ في المعنى.

أحوال المبتدأ والخبر من حيث التقديم والتأخير:

الأصل في ترتيب الجملة الاسمية أن يتقدم المبتدأ ويتأخر الخبر، ذلك لأن الخبر وصف في المعنى للمبتدأ فاستحق التأخير كالوصف، على أنه قد يطرأ ما يستدعى

تقديم الخبر على المبتدأ؛ لذلك فإن للخبر مع المبتدأ ثلاث أحوال: وجوب التأخير، وجوب التقديم، وجواز الأمرين.

أولاً: وجوب تأخير الخبر:

لا يخفى أن وجوب تأخير الخبر هو الأصل في ترتيب الجملة الاسمية، وهو يعنى بالطبع وجوب تقديم المبتدأ على الخبر، ويكون في المواضع الآتية:

١-أن يكون كل منهما معرفة أو نكرة صالحة للابتداء بها، وليس هناك ما يبين المبتدأ من الخبر، مثل: محمد أخوك، فكل منهما معرفة؛ مما يخشى التباس الخبر بالمبتدأ [٣٥]؛ لأن القارئ قد يتوهم ابتدائية المتقدم منهما والمعنى عكس ذلك، ولا توجد في الكلام قرينة تعين أحدهما، أما إن وجدت قرينة تدل على أن المتقدم منهما هو الخبر جاز هنا التقديم، نحو قولك: أبو حنيفة أبو يوسف؛ وذلك لوجود القرينة المعنوية وهى إرادة تشبيه أبى يوسف وهو تلميذ الإمام أبى حنيفة بأبي حنيفة لا العكس، ومن ذلك أيضًا قول الفرزدق[٣٦]:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ف(بنونا) خبر مقدم مرفوع بالواو، و(بنو أبنائنا) مبتدأ مؤخر، والشاهد فيه: قوله " بنونا بنو أبنائنا"؛ حيث قدم الخبر وهو " بنونا " على المبتدأ وهو " بنو أبنائنا " مع استواء المبتدأ والخبر في التعريف، فإن كلا منهما مضاف إلى ضمير المتكلم –

---

(٣٥) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام الأنصاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، المجلد الأول ، ص ١١٥ .

(٣٦) قيل : مجهول القائل ، والمعنى :أن أولاد أبنائنا مثل أولادنا ولكن أبناء البنات بعيدون عنا لأن آباءهم غرباء .

وإنما ساغ ذلك لوجود قرينة معنوية تعين المبتدأ منهما، وهى إرادة تشبيه أولاد الأبناء بالأبناء لا العكس، فإنك قد عرفت أن الخبر هو محط الفائدة، فما يكون فيه أساس التشبيه وهو الذي تذكر الجملة لأجله – فهو الخبر.[٣٧]

٢- أن يكون الخبر جملة فعلية، فاعلها مستتر يعود على المبتدأ مثل: المطر ينهمر، ففاعل ينهمر ضمير مستتر عائد على المبتدأ، فلو قدم الخبر وهو الفعل وفاعله المستتر فيه فإن الجملة ستنتقل من الاسمية إلى الفعلية[٣٨]، أما إن كان فاعل الفعل اسمًا ظاهرًا أو ضميرًا بارزًا جاز تقديم الخبر، مثل: زيد سافر صديقه، والطالبان نجحا في الامتحان، فيمكنك أن تقول: سافر صديقه زيد؛ لأمن اللبس.

٣- إذا كان المبتدأ محصورًا في الخبر، ومعنى الحصر أن يكون المبتدأ مخصصًا بالخبر لا غير ويكون الحصر بـ(إلا وإنما)، مثل قوله تعالى:(وما محمدٌ إلّا رسولٌ) آل عمران آية ١٤٤، فقد حصرنا محمدًا صلى الله عليه وسلم في الرسالة، وذلك أننا بهذا القول نفينا عنه أية صفة أخرى فهو ليس بشاعر، ولا كاهن ولا غير ذلك مما يناقض النبوة والرسالة، ونحو قوله تعالى :(إنّما أنت منذر) الرعد، آية ٧، فـ(أنت) هنا مقصور على الإنذار فليس عليه الهداية فإنها من عند الله، ومثل ذلك: إنما المتنبي شاعر، إنما خالد إنسان.

---

[٣٧] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المؤلف : ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : ٧٦٩هـ)، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ١: ٢٣٣.

([٣٨]) ومثل ذلك اسم الفعل ، والفعل المبنى للمجهول ، مثل : زيد هيهات ، والكوب كُسِر لئلا يلتبس المبتدأ بالفاعل إذا قدم الخبر ، وقيل لا يمتنع. ظ: حاشية الصبان على شرح الأشموني ١ : ٢١٠ .

٤- أن يكون المبتدأ مستحقًا للتصدير، كأسماء الاستفهام، نحو: من عندك؟ وأسماء الشرط، مثل: من يحسن أحسن إليه، وما التعجبية، مثل: ما أجمل الإخلاص، وكم الخبرية، مثل: كم يد لك؟.

وجوب تقديم الخبر:

يجب تقديم الخبر على المبتدأ في أربعة مواضع:

أولا: مخافة اللبس، بمعنى أن يوقع التأخير في لبس، وذلك بكون المبتدأ نكرة محضة والخبر ظرفا أو مجرورا أو جملة، مثل: عندك مال، ومثل ذلك قولك: في الدار رجلٌ، فـ(رجل): مبتدأ مؤخر وهو نكرة لا يجوز الابتداء بها؛ لذا أخرت، ولو أخر الخبر، فقيل: رجل في الدار، لتوهم السامع أنه صفة لا خبر؛ لأن النكرة أحوج إلى الصفة منها إلى الخبر، ولبقي ينتظر الخبر.

ثانيا: أن يتصل بالمبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر مثل قوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[٣٩]، فـ(أقفالها) مبتدأ مؤخر، و(على قلوب) خبر مقدم، ولا يجوز تأخير الخبر لئلا يعود الضمير المتصل بالمبتدأ(ها) على (قلوب) وهي من أجزاء الخبر، والخبر متأخر لفظًا ورتبةً.

---

(٢) محمد، الآية ٢٤.

ومن ذلك قول نُصَيْب بن رباح [٤٠]:

أهابك إجلالا وما بك قدرةٌ علىَّ ولكن مِلْء عينٍ حبيبُها

فملء عين خبر مقدم، وحبيبها مبتدأ مؤخر، ولا يجوز تقديمه لئلا يعود الضمير(ها) على متأخر لفظا ورتبة، ونحو: على شجرة التوت ثمارها، فالضمير في المبتدأ (ثمارها) يعود على بعض الخبر وهو كلمة (شجرة التوت)، ولو أخر الخبر فقلنا: (ثمارها على شجرة التوت) لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة؛ إذ إن رتبة الخبر أن يكون بعد المبتدأ؛ فالأصل في الضمير أن يعود على متقدم عليه في اللفظ والرتبة معاً، أو أحدهما، ومن ذلك قول العرب: على التمرة مثلها زبدا، فعلى التمرة خبر مقدم، ومثلها مبتدأ مؤخر، وزبدا تمييز أو حال[٤١]، ولا يصح تقديم المبتدأ؛ لئلا يعود الضمير على متأخر لفظًا ورتبةً.

ثالثا: أن يكون الخبر مستحقًا للتصدير، مثل: أين مسكنك؟ فأين خبر مقدم، ومسكنك مبتدأ مؤخر، ومثل قول ابن مالك: أين من عَلِمْتُه نصيرًا، فأين خبر مقدم، ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر، وجملة علمته نصيرًا لا محل لها صلة الموصول.

---

(٤٠) يقول: إنني أخافك لا لأنك تستطيعين التغلب على ، ولكن أخافك احتراما لك وحبا فيك .

الإعراب : أهابك: فعل مضارع مرفوع ، والفاعل ضمير مستتر وجوبًا ، والكاف مفعوله . إجلالا: مفعول لأجله منصوب . وما: الواو واو الحال ، وما نافية. بك: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم . قدرة: مبتدأ مؤخر. على: جار ومجرور متعلق بقدرة ، ولكن: الواو عاطفة ، ولكن حرف استدراك مخفف غير عامل . ملء: خبر مقدم . عين: مضاف إليه . حبيبها: مبتدأ مؤخر ، وها مضاف إليه .

(٤١) ويجوز رفع(زبد) على أنها بدل من مثل، أو بيان لها، وعلى أنها فاعل للجار والمجرور عند من لا يشترط الاعتماد على نفى أو استفهام ، وعلى أنها مبتدأ والجار والمجرور خبر ، وعلى الرأيين الأخرين تكون(مثل) منصوبة على الحالية من النكرة المتأخرة(زبد).

رابعا: أن يكون الخبر محصورا في المبتدأ، سواء كان الحصر بإلا أو بإنما، مثل: مالنا إلا إتباعُ الحق، فلنا جار ومجرور خبر مقدم، وإتباع مبتدأ مؤخر، ومثله: إنما خلفَك قلوبنا، فخلفك خبر مقدم ، وقلوبنا مبتدأ مؤخر، و نحو: إنما الرسول محمد، وما الهادي إلا الله، ففي الأول: قصرُ صفة الرسالة على محمد، فالمحكوم عليه هو محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المتأخر، والمحكوم به وهو صفة القيادة هو المتقدم، فـ(إنما) أداة حصر، (الرسول) خبر مقدم، (محمد) مبتدأ مؤخر، وفي الثاني: قصر صفة الهداية على الله تعالى، فـ(ما): نافية، (الهادي): خبر مقدم، (إلا): أداة حصر، (الله): لفظ الجلالة مبتدأ مؤخر.

حذف المبتدأ والخبر:

الحذف جوازا:

يكون حذف ما علم منهما جائزا إذا وجدت قرينة تدل على المحذوف منهما، فحذف الخبر مثل أن يسألك سائل: من عندك؟ فتقول: أحمد، على تقدير: أحمد عندي، فقد حذف الخبر للعلم به لوقوعه فى جواب الاستفهام، ومن حذف الخبر جوازا مثل قولك: خرجت فإذا الأسد، أي: حاضر، ومثل قوله تعالى: (أكُلُها دائم وظلها)[٤٢]، أي: وظلها دائم، لدلالة ما قبله عليه.

أما حذف المبتدأ، فنحو قوله تعالى: (سورةٌ أنزلناها) النور آية ١، فـ(سورة) خبر لمبتدأ محذوف جوازاً لعلم السامع به، والتقدير: هذه سورة، وكذلك كأن يسألك سائل:

---

(٤٢) سورة الرعد ، آية : ٣٥ .

كيف أنت [٤٣]؟، فتقول: صحيح، أو دَنِف – مريض –على تقدير: أنا صحيح ، أو أنا دنف[٤٤] ومن حذف المبتدأ الجائز قوله تعالى: (مَنْ عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها)[٤٥]، فالتقدير: فعمله لنفسه وإساءته عليها، فدخول الفاء على ما لا يصلح أن يكون مبتدأ قرينة دالة على حذفه .

وقد يحذف المبتدأ والخبر جميعاً، ومن ذلك قوله تعالى: (وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) الطلاق آية ٤، فالتقدير: واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر، فاللائي مبتدأ، وجملة لم يحضن صلته، وعدتهن ثلاثة أشهر جملة اسمية في محل رفع خبر المبتدأ، وقد حذفت لفهمها من الكلام السابق.

---

(٤٣) في كيف ثلاثة آراء :

(أ) أنها ظرف يستفهم به عن الأحوال ، فمعناها في أي حال ، فموضعها نصب دائمًا .

(ب) أنها اسم يستفهم به عن الأحوال فمعناها على أي حال ، فموضعها رفع مع المبتدأ ، ونصب مع غيره .

(ج) أنها سؤال عن وصف ما يذكر بعدها ، فمعناها : ما نعت زيد ، والمراد بالوصف اللفظ الدال على ذات باعتبار معنى هو المقصود .

(٤٤) يقول ابن مالك :

وحذف ما يعلم جائز كما تقول زيد بعد من عندكما

وفى جواب كيف زيد؟ قل دنف فزيد استغنى عنه إذ عُرِف

(٤٥) سورة فصلت ، آية : ٤٦ .

الحذف الواجب:

يحذف الخبر وجوبا في أربعة مواضع :

١-أن يقع المبتدأ بعد لولا الامتناعية[٤٦]،وهي الدالة على امتناع الثاني، لوجود الأول، نحو: لولا الماء لهلك الزرع، فحذف الخبر وهو لفظ(موجود) لوقوعه قبل جواب (لولا)؛ إذ التقدير: لولا الماء موجود ما عاش الزرع، ومنه قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) سبأ آية ٣١، فـ(أنتم) مبتدأ، والخبر محذوف، أي: موجودون، ومن ذلك قوله تعالى: (وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ)[٤٧] أي: لولا دفعه موجود، فـ(الواو) استئنافيّة، (لولا) حرف امتناع لوجود- شرط غير جازم-، (دفع) مبتدأ مرفوع والخبر محذوف وجوبا تقديره" موجود"، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور، (الناس) مفعول به منصوب عامله المصدر " دفع"، (بعض) بدل من الناس منصوب مثله، (ببعض) جارّ ومجرور متعلّق بالمصدر" دفع"، والباء للتعدية، (اللام) واقعة في جواب لولا، (فسد) فعل ماض، و(التاء) تاء التأنيث، (الأرض) فاعل مرفوع، وجملة: «فسدت الأرض» لا محلّ لها جواب شرط غير جازم، ويشار إلى ضرورة أن يكون الخبر كونا مطلقا، أي أن الامتناع معلق على مجرد وجود المبتدأ، وذلك هو الغالب فيها،

---

(٤٦) أما لولا التحضيضية فلا يليها إلا الفعل .

(٤٧) سورة البقرة ، آية : ٢٥١

ومن ذلك أيضا: لولا الإخلاص لهلكنا، أي: لولا الإخلاص موجود لهلكنا، ولولا الجهود المخلصة لفني العالم.

٢- أن يكون المبتدأ اسما صريحا في القسم، بمعنى أنه لا يستعمل إلا في القسم، مثل: لَعَمْرُك لأبذلنّ جهدي في سبيل غايتي [٤٨]، وايْمُنُ الله لأحققنَّ هدفي، والتقدير: لعمرك قسمي، وايمن الله يميني، ومنه قولك: لعمر الله لأنصرن المظلوم، فـ(اللام): للابتداء، و(عمر الله): مبتدأ ومضاف إليه، والخبر محذوف وجوباً وتقديره: قسمي، وإنما وجب حذفه للعلم به وسد جواب القسم مسده، فإذا لم يكن المبتدأ نصا في اليمين، بأن كان يستعمل فيه وفى غيره، جاز إثبات الخبر وحذفه، مثل: عهدُ الله لأنصرنَّ المظلوم، فأنت تستطيع أن تقول: عهد الله عليّ لأنصرنَّ المظلوم، فعهد مبتدأ، وعليّ هو الخبر، وإنما جاز إثبات الخبر وحذفه؛ لأن المبتدأ ليس صريحا في القسم، ولا يفهم منه القسم إلا بذكر المقسم عليه؛ لأنك تستطيع أن تقول: عهد الله يجب الوفاء به، نحو قوله تعالى: (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) النحل آية ٩٢ .

٣- أن يكون المبتدأ قد عطف عليه اسم بواو تدل نصا على المصاحبة والمعية، مثل قولهم: كل رجل وضيعته[٤٩]، وكل صانع وصنعته، وكل طالب وعمله، فكل مبتدأ، والاسم الذى بعده مضاف إليه، والواو عاطفة دالة على المصاحبة والاقتران،

---

[٤٨] **لعمرك : أي وحياتك.**

[٤٩] **ضيعة الرجل هي حرفته وصنعته وتجارته، والضيعة أيضا : العقار من الأرض. ظ: اللسان مادة(ض ي ع) .**

وما بعد الواو معطوف على المبتدأ، والخبر محذوف وجوبا [٥٠]، والتقدير: كل رجل وضيعته مقترنان.

حذف المبتدأ وجوبا:

يحذف المبتدأ وجوبا في الحالات الآتية:

١-إذا كان خبر المبتدأ في الأصل نعتا قد قطع عن منعوته إلى الرفع في مقام المدح أو الذم أو الترحم، مثل: الحمد لله الحميد، ومررت بزيد الكريم، وقولك : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومررت بزيد اللئيم، وقولك: اللهم ارحم عبدك المسكين، ومررت بزيد الفقير، بقطع النعت فيها إلى الرفع فيكون خبرا لمبتدأ محذوف وجوبا، ووجوب الحذف ليكون دليلا على ما قصدوا إليه من إنشاء المدح أو الذم أو الترحم، لتكون مخالفة الألوف أدعى إلى تنبه السامع وإيقاظه.

٢- إذا كان المبتدأ قد أخبر عنه بالمخصوص بالمدح أو الذم في نعم وبئس وهو متأخر عنهما مثل: نعم الصديقُ القرآنُ، وبئس الطالبُ المهملُ، إذا قدرت كلا من (القرآن والمهمل) خبر المبتدأ، فإنه يكون حينئذ واجب الحذف، والتقدير: نعم الصديق هو القرآن، وبئس الطالب هو المهمل، ويجوز أن يعرب كلٌّ منهما مبتدأً، والجملة قبله خبر عنه، فإذا تقدم المخصوص، كان مبتدأ لا غير، نحو: القرآنُ نعم الصديقُ ، والمهمل بئس الطالب [٥١].

([٥٠]) إنما وجب الحذف لقيام الواو مقام مع ، ولو جئ بمع مكان الواو كان الكلام تاما.

([٥١]) ومثل ذلك المخصوص بعد حبذا ولا حبذا ، ولكنه لا يتقدم عليهما؛ لأنه كلام جرى مجرى المثل.

٣- إذا كان الخبر صريحا في القسم، كما إذا قلت : في ذمتي لأستقيمنّ ، ففي ذمتي جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر، والمبتدأ محذوف وجوبا، والتقدير: في ذمتي عهد أو ميثاق .

٤-إذا كان الخبر مصدرا مرفوعا جيء به بدلا من اللفظ بالفعل، مثل: صبرٌ جميل، فصبر خبر، وجميل صفة له، والمبتدأ محذوف وجوبا، قال تعالى: " قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ"[٥٢]، والتقدير: صبري صبر جميل، ومثل ذلك قولهم: سمع وطاعة، فإن التقدير: أمري سمع وطاعة، ومنه قول الشاعر(من الطويل)[٥٣] :

فقالت حَنانٌ ما أَتى بك ههنا أَذَو نَسَبٍ أَمْ أنتَ بالحيِّ عارِفُ

قال سيبويه:" لم تُرِدْ حِنَّ، ولكنها قالت: أمرنُا حَنانٌ، أو ما يصيبنا حنانٌ"[٥٤]، فيكون (حنان) خبرا لمبتدأ محذوف وجوبا، والتقدير: أمري حنان، من ذلك أيضا قوله تعالى: " مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتي وُعِدَ المتّقُونَ" [٥٥]، فالتقدير: فِيمَا يُتْلَى عَلَيْكُم مثل الْجنَّة.[٥٦]،

---

[٥٢] يوسف آية ١٨.

([٥٣]) المعنى : حنان : الحنان الرحمة ورقة القلب . تقول : إن أمري معك رحمة بك ورقة من أجلك فماذا جاء بك ؟ ألك في الحي قرابة، أم لك به صلات ود وصداقة . الإعراب : وقالت : الواو بحسب ما قبلها وقالت: فعل ماض . والتام للتأنيث ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي . حنان: خبر لمبتدأ محذوف وجوبا تقديره::أمري . ما:اسم استفهام مبتدأ . أتى:فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ . بك :جار ومجرور متعلق بأتى . ههنا: ظرف يشار به إلى المكان القريب متعلق بأتى . أذو:الهمزة للاستفهام ، وذو خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير: أنت ذو نسب . نسب:مضاف إليه . أم : عاطفة . أنت: مبتدأ . بالحي : جار ومجرور متعلق بعارف . عارف : خبر المبتدأ ، والجملة معطوفة على الجملة السابقة .

[٥٤] الكتاب، ١: ٣٢٠.

[٥٥] الرعد آية ٣٥.

[٥٦] المقتضب، ٣: ٢٢٥.

تعدد الخبر:

يجوز أن يتعدد الخبر للمبتدأ الواحد، كما يتعدد النعت للمنعوت، نحو: عليٌّ كاتبٌ شاعرٌ مؤرخٌ ، ونحو: إبراهيم كتب ضحك استراح، منه قوله تعالى: (وهو الغفورُ الودودُ ذو العرش المجيدُ فعّالٌ لما يريدُ)[٥٧].

(٥٧) سورة البروج ، آية ١٤ ، ١٥، ١٦.

الصـــــــــرف

الميزان الصرفي

لما كان موضوع علم الصرف هو الكلمة هيئة، ونوع صيغة، كان لابد من ميزان يقابل الكلمة ليعرف به ما يطرأ عليها من تغيير في حركاتها، وزيادة حروفها، ولذلك فإن فكرة الميزان الصرفي تقوم على قياس الكلمات المتغيرة بعناصر ثابتة تمثل معيارا يتم فيه مقابلة الأصول بالأصول، والزوائد بالزوائد، وقد اصطلح علماء الصرف على تسمية ذلك المقياس بـ(الميزان الصرفي)، الذى يمثل المعيار الدقيق لتحديد صيغة الكلمة من بين أنواع الأسماء والأفعال، وبيان ما يلحقها من زيادة وحذف.

ولما كانت معظم الكلمات في اللغة العربية ذات أصول ثلاثة [٥٨]، وضعوا ميزانهم للكلمات على ثلاثة حروف أساسية، وسموا ذلك "الميزان الصرفي". وجعلوا حروفه (الفاء–والعين–واللام)، وقد اختاروا تلك الحروف لأنها تُكوّن مطلق الفعل، فكل حدث يقال له فعل، فالقول فعل، والذهاب فعل، والنجاح فعل... وهكذا.

ثم جعلوا كل زيادة في الموزون تقابلها زيادة في الميزان، فيقولون: عمِل على وزن فعِل، وذهَب على وزن فعَل، وجبل على وزن فعل، وعظُم على وزن فعُل، فإذا كانت الكلمة رباعية أو خماسية أصلية الوضع، قوبلت الحروف الثلاثة الأولى بالفاء والعين واللام، وقوبل الحرف الرابع والخامس بتكرار اللام في الميزان، فيقولون في دحرج: فعلل، وفى دِرْهم: فِعلل، وفى سفرجل: فعلّل، وفى لُؤْلؤ: فُعْلل، فإذا كانت تلك الزيادة ناشئة من تكرار حرف من أصول الكلمة، كرر ما يقابله في الميزان، ففي وزن علَّم يقال: فعَّل، وفى وزن جلبب يقال: فعلل، أما الزائد غير الأصلي، بمعنى أن الكلمة مزيدة بحرف أو أكثر من حروف الزيادة، وهى الحروف العشرة التي تجمعها كلمة (سألتمونيها)، وهى تلك الحروف التي تزداد في الكلمات العربية، قوبلت الأصول

---

[٥٨] سئل ابن جنى: لما كانت الكلمات الثلاثية أكثر الأبنية؟ فأجاب بقوله: "إنما كثر تصرف ذوات الثلاثة فى كلامهم لأنها أعدل الأصول، وهى أقل ما يكون عليه الكلم المتمكنة"، انظر المنصف ١: ١٧.

بالفاء والعين واللام، وزيدت الحروف الزائدة كما هي بحركاتها وسكناتها في الميزان الصرفي، ففي وزن أعطى نقول: أفعل، وفى كاتب يقال: فاعل، وفى مكتوب يقال: مفعول، وفى مستكتب يقال: مستفعل، وفى انكسر يقال: انفعل، وفى تشارك يقال، تفاعل، وفى مجتهد يقال: مفتعل.

أما إذا حدث في الكلمة حذف لحرف أو أكثر، حذف أيضا ما يقابله في الميزان، ففي يعِد يقال: يعِل، وفى قِفْ يقال: عِلْ، وفى قُل يقال: فل، وفى قِ يقال: عِ[٥٩].

فإذا حدث في الكلمة إدغام أو إعلال، فإن ذلك لا يؤثر في الميزان، ففي مدّ يقال: فعل [٦٠]، وفى نام يقال: فعل [٦١]، وفى طار يقال: فعل [٦٢]، وفى بير يقال: فِعل [٦٣]، وفى اصطبر يقال: افتعل [٦٤].

فإذا حدث في الكلمة قلب مكاني، بأن غيرنا حرفا مكان حرف آخر، وجب في تلك الحالة أن نأتي بمثله في الميزان، ففي أَيِسَ يقال: عَفِلَ؛ لأن أصل الكلمة يئس، وفى حادي يقال: عالف؛ لأن أصله واحد، فحولت الفاء وهى الواو في الكلمة إلى موضع اللام في الكلمة ثم قلبت الواو ياء لتطرفها وانكسار ما قبلها، وتقدمت حاء الكلمة والتي تمثل العين في الميزان، وفى جاه يقال: عفل؛ لأنه مقلوب: وجه [٦٥]؛ تقدمت

---

[٥٩] الأمر من "وقى" قال ابن مالك:

وليس أدنى من ثلاثي يرى قابل تصريف سوى ما غيرا.

يشير هذا القول إلى أن ما كان على حرف واحد أو حرفين فإنه لا يقبل التصريف إلا أن يكون ثلاثيا فى الأصل وقد غير بالحذف، فإن ذلك لا يخرجه عن قبول التصريف. وهذا معناه أن الاسم المتمكن والفعل لا ينقصان فى أصل الوضع عن ثلاثة أحرف لأنهما يقبلان التصريف، وأن الاسم والفعل قد ينقصان عن الثلاثة بالحذف. ظ: شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ٢: ٥٤٣.

[٦٠] يفك تضعيفها فتصير: مدد.

[٦١] حدث فى الفعل إعلال بقلب الواو ألفا.

[٦٢] حدث فى الفعل إعلال بقلب الياء ألفا.

[٦٣] أبدلت الهمزة ياء فاصلها بئر.

[٦٤] أبدلت الطاء تاء.

[٦٥] شذا العرف ص٢١، ٢٢.

الجيم وهي عين الكلمة، وقلبت الواو ألف لسكونها وانفتاح ما قبلها وهي فاء الكلمة، فصار الوزن الصرف: عفْل.

الفعل

الفعل في اللغة العربية، هو القسم الثاني من أقسام الكلام، والفعل كلمة تحتوى على حدث وزمن مجتمعين معا، وعليه جاء تقسيم الصرفيين والنحاة للفعل من حيث الزمن على ثلاثة أنواع [٦٦]: الماضى: وهو ما دل على حدث تم في الزمن الماضي، ومن ذلك الأفعال: انتقل، ذهب، تبارك، استخرج، عمل، ذاكر، فرح، قالوا، تشاركوا، والمضارع: وهو ما دل على حدث يتم في الزمن الحاضر، أو المستقبل، ومن ذلك الأفعال: ينتقل، يستخرج، يعمل، يذاكر، يذهب، يكتب، أستمع، نأكل، والأمر: وهو ما دل على حدث يطلب القيام به في الزمن المستقبل، ومن ذلك الأفعال: انتقِل، استخرِج، اعمَل، ذَاكر، اذهَب، استغفر، شارك.

وبالإضافة لتلك الوجهة في تقسيم الأفعال في اللغة العربية، يمكن كذلك تصنيفها عدة تصنيفات مختلفة من عدة وجوه:

أولاً: الفعل من حيث البنية يقسم إلى نوعين: مجرد، ومزيد، والمجرد بدوره ينقسم إلى: ثلاثي ورباعي، والمزيد ينقسم إلى: مزيد بحرف، ومزيد بحرفين، ومزيد بثلاثة أحرف.

ثانيا: من حيث الحروف التي يتكون منها الفعل، يقسم إلى نوعين: صحيح ومعتل، والصحيح يقسم إلى سالم، ومهوز، ومضعف، أما المعتل فيقسم إلى مثال، وأجوف، وناقص، ولفيف، كما أنه يقسم من حيث نوع حرف العلة الذى ينتهى به إلى: معتل بالألف، ومعتل بالياء، ومعتل بالواو.

ثالثا: من حيث قوة الفعل في طلب العناصر اللغوية التابعة له في الجملة، ومدى اكتفائه من تلك العناصر، من عدمه، فإنه ينقسم إلى لازم، ومتعد، فاللازم: هو ذلك النوع من الفعل الذى يكتفى بفاعله، بمعنى أنه لا يتعداه إلى مفعول به، أما

---

[٦٦] للنحاة كلام كثير في تصنيفات الفعل المتعددة سوف يعرض الكتاب لها تباعا بإيجاز ودون الخوض في مطولاتهم.

المتعدي: فهو الذى لا يكتفى بذلك الفاعل، ولكنه يطلب عناصر أخرى، فهو يتجاوز الفاعل ويتعداه إلى المفعول به، والمتعدي ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام: ما يتعدى إلى مفعول واحد، وما يتعدى لاثنين من المفاعيل، وما يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل.

رابعا: من حيث صيغة الفعل يقسم إلى نوعين؛ أحدهما: مبنى للمعلوم وهو: ما ذكر الفاعل بعده مثل: قام زيد، وحضرت فاطمة، وثانيهما: مبنى للمجهول أو يسمونه للمفعول، لأن المفعول به في تلك الحال أقيم مقام الفاعل الذى حذف مثل: ضرب زيد، وكوفئ المجتهد.

خامسا: من حيث تمام الفعل ونقصانه، يقسم إلى نوعين: أحدهما: أفعال تامة ترفع فاعلا، وثانيهما: أفعال ناقصة أو ناسخة تدخل على المبتدأ والخبر وتنسخ حكمهما، وهى مجموعات: "كان وأخواتها" و"كاد وأخواتها".

سادسا: من حيث التصرف والجمود، يقسم الفعل من تلك الوجهة إلى قسمين، أحدهما: أفعال جامدة، وثانيهما: أفعال متصرفة، والمتصرفة بدورها تنقسم إلى قسمين: ما يتصرف تصرفا تاما، وما يتصرف تصرفا ناقصا.

المجرد والمزيد فيه من الأفعال

ينقسم الفعل فى اللغة العربية من حيث التجرد والزيادة إلى قسمين: أولهما: الفعل المجرد، وثانيهما: الفعل المزيد فيه، أما الفعل المجرد فهو: ما كانت جميع حروفه أصلية، وسمي مجردا لأنه تجرد عن الحروف الزائدة ويكون ثلاثيا مثل: علم، ضرب، كتب، نصر. ويكون رباعيا مثل: طمأن، قلقل، دحرج، زلزل، بعثر.

أما الفعل المزيد فهو: ما زيد على حروفه الأصلية حرف أو أكثر مثل: استغفر، انكسر، شارك، تدحرج، اقشعر، قاتل، استفهم. على أن كلا من مجرد الثلاثي ومجرد الرباعي ينتهى بالزيادة إلى ستة أحرف، فتكون أنواع المزيد خمسة، وإليك- عزيزي القارئ- الحديث عن أوزان المجرد والمزيد بالتفصيل:

أولا: أوزان الفعل المجرد:

الفعل المجرد نوعان: مجرد ثلاثي، ومجرد رباعي، ولكل منهما أوزانه التي تخصه دون الآخر.

أوزان الفعل الثلاثي المجرد:

للماضي المجرد الثلاثي ثلاثة أوزان، فهو باعتبار ماضيه له ثلاثة أوزان، وهو دائما مفتوح الفاء، وعينه إما أن تكون مفتوحة، أو مكسورة أو مضمومة نحو: ضرب، وعلم، وكرم، وهذه الصيغ الثلاث في الماضي، فإذا أردنا المضارع منها، فإنها تتفرع إلى ست صيغ، هي:

فَعَل: بفتح العين في الماضي مثل: ضرب، ذهب، قعد، شكر، نصح، فيأتى المضارع منها على ثلاث صور:

١- فعَل ← يفعَل(بفتح العين) مثل : ذهب ← يذهب، فتح ← يفتح، ظهر ← يظهر، صنع ← يصنع، وسعى ← يسعى، لحن ← يلحن[٦٧].

---

[٦٧] **اللحن: الخطأ فى القراءة، يلحن، لحنا، وهو لاحن، ويقال: لحنه(بتشديد الحاء) أي: خطأه، ولحن له: قال له قولا لا يفهمه عنه، ويخفى على غيره. مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوى، ص٥٤٨.**

٢- فعَل ← يفعِل(بكسر العين) مثل: ضرب ← يضرب، وباع ← يبيع، ووقى ← يقى، وهنأ ← يهنئ، وجلس-- يجلس، وصبر ← يصبر، وحبس ← يحبس، ووعد ← يعد، وفصم ← يفصم [٦٨].

٣- فعَل ← يفعُل(بضم العين) مثل: قتل ← يقتل، قعد ← يقعد، غزا ← يغزو، حصد ← يحصد، وفشا ← يفشو، قمط ← يقمط [٦٩]، ومنه سَمَطَ اللَّبَنُ، إِذَا ذَهَبَتْ عَنْهُ حَلاَوَةُ الحَلِيبِ وَلَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، ومنه طمس، يقال: طَمَثَتِ المَرْأَةُ: إِذَا حَاضَتْ، ومن (فَعَل) أفعال يجوز فيها ضم العين وكسرها، منها، سَفَكَ الدَّمَ يَسْفُكُ وَيَسْفِكُ سَفْكاً: إِذَا أَرَاقَهُ، وسَمَطَ الجَدْي يَسْمُطُهُ وَيَسْمِطُهُ سَمْطاً: إِذَا نَظَّفَهُ مِنَ الشَّعَرِ بِالمَاءِ الحَارِّ، لِيَشْوِيَهُ، فَهُوَ سَمِيطٌ وَمَسْمُوطٌ؛ وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ، يُخْبِرُ عَنْ حَالِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ ما عَلِمْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أَكَلَ علَى سُكُرُجَةٍ قَطُّ، ولَا خُبِزَ له مُرَقَّقٌ قَطُّ، ولَا أَكَلَ علَى خِوَانٍ قَطُّ قيلَ لِقَتَادَةَ: فَعَلَامَ كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قالَ: علَى السُّفَرِ."[٧٠]

فعل: بكسر العين في الماضي، فيأتي منها المضارع على صورتين هما:

١- فعل ← يفعَل(بفتح العين) مثل: علم ← يعلم، وفهم ← يفهم، فرح ← يفرح، وعور ← يعور، وقوى ← يقوى، ووجل ← يوجل، خاف ← يخاف، وغيد ← يغيد [٧١]، لخن ← يلخن [٧٢].

---

[٦٨] فصمه يفصمه أي: كسره، وانفصم أي: انقطع. السابق ص٤٧٩.

[٦٩] قمطه يقمطه ويقمطه: شد يديه ورجليه، والقماط: الحبل والخرقة تلف على الصبى الصغير. السابق ص٥١٢.

[٧٠] رواه البخاري، وفيه يَحكِي أَنَسٌ رضِي اللهُ عنه أنَّه ما عَلِمَ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أَكَلَ على سُكُرُجَةٍ قَطُّ، وهي صِحَافٌ أو أَطْبَاقٌ تُوضَع فيها المُخَلَّلاتُ والمُشَهِّياتُ. ولا خُبِزَ له مُرَقَّقٌ قَط، أي: ولم يُخبَزْ له صلَّى الله عليه وسلَّم ذلك الخُبْزُ الرَّقِيقُ الفاخِرُ المسمَّى بالرُّقَاقِ. ولا أَكَلَ على خِوَانٍ قَطُّ، أي: ولا أَكَلَ في حياتِه كلِّها على مائدةٍ من تلك الموائِدِ النُّحَاسِيَّةِ المُرتَفِعة عن الأرضِ التي يأكُل عليها العُظماء والمُترَفُون. وكان يأكُل صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابُه على السُّفَرِ التي تُمَدُّ على الأرضِ تواضُعًا وزُهدًا في الدُّنيا ومظاهِرِها .

[٧١] غيد: مالت عنقه، ولانت أعطافه، والغادة: المرأة الناعمة اللينة البينة. مختار القاموس ص٤٦٤.

[٧٢] لخن السقاء أى أنتن. السابق ص٥٤٩.

٢- فعل← يفعِل، مثل: حسب← يحسب، ونعم← ينعم، ووثق ← يثق، وورث ← يرث [٧٣].

فعل: بضم العين في الماضي، ويأتي منها المضارع على صوة واحدة هي:

فعل ← يفعُل(بضم العين) مثل: شرف ← يشرف، وحسن ← يحسن، وعظم ← يعظم، ووسم ← يوسم، ولؤم ← يلؤم، وجرؤ ← يجرؤ، وسرو ← يسرو [٧٤].

أوزان الرباعي المجرد وملحقاته :

للفعل الماضي الرباعي المجرد وزن واحد فقط، وهو فعلل مثل: دحرج- زلزل- وسوس- وشوش[٧٥]، ومنه كذلك أفعال نحتتها العرب من مركبات [٧٦]، تحفظ ولا يقاس عليها، مثل بسمل الرجل: إذا قال: (بسم الله الرحمن الرحيم)، وحوقل إذا قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، ودمعز إذا قال: (أدام الله عزك)، وطلبق إذا قال: (أطال الله بقاءك)، وحيعل إذا قال:(حي على الصلاة)، وجعفل إذا قال: (جعلني الله فداء).

أوزان المزيد فيه:

ينقسم الفعل المزيد فيه إلى قسمين: مزيد الثلاثى، مزيد الرباعي.

---

[٧٣] القياس فى مضارع فعل مكسور العين هو فتحها، وقد جاءت أربعة أفعال من غير المثال الواوى، يجوز فيها الفتح والكسر، وهى: حسب يحسب، ونعم ينعم، ويئس ييئس، ويبس ييبس، وقد جاءت أفعال من المثال الواوى لم يرد فى مضارعها الفتح وهى ورث يرث، ووثق يثق. ظ: شرح الشافية للاستراباذى ص١٣٥.

[٧٤] السرو: المروءة فى شرف، وسرو، يسرو، سراوة فهو سرى أي: صاحب مروءة، والجمع: سراة. ظ مختار القاموس ص٢٩٨.

[٧٥] الوشوشة في اللغة هي الخفة، يوشوش وشوشة وهو وشواش، ويقال: توشوشوا: تحركوا وهمس بعضهم إلى بعض. مختار القاموس ص٦٥٩.

[٧٦] العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار، والغرض من ذلك أن تدل الكلمة المنحوتة على معنى جامع لمعنى الكلمتين، مثل قولهم للرجل الشديد (ضبطر) وأصله ضبط وضبر وقولهم (صلدم) وأصله صلد وصدم وغير ذلك، و قد تنحت من مركب = إضافى مثل قولهم: (عبدر) وأصله عبد الدار، وقولهم: (عبشم) وأصله عبد شمس، بل إنهم نسبوا إلى الاسم المنحوت، ومن ذلك قول عبد يغوث بن وقاص الحارثى:

وتضحك منى عبشمية كأن لم تر قبلي أسيرا يمانيا.

وقد تنحت من عبارة كاملة -كما هو مذكور- وقد جاء على ذلك قول القائل:

أقول لها والدمع جار ألم تحزنك حيعلة المنادى

ينظر شذا العرف ص٤٠ نقلا عن المزهر للسيوطي ص٤٦٢.

أ- المزيد الثلاثي:

الفعل الثلاثي المزيد فيه على ثلاثة أقسام: ما زيد فيه حرف واحد، وما زيد فيه حرفان، وما زيد فيه ثلاثة أحرف، ومنتهى ما يبلغ الفعل بالزيادة ستة أحرف، وذلك بخلاف الاسم الذى يبلغ بالزيادة سبعة أحرف، وذلك راجع لثقل الفعل، وخفة الاسم، وسوف نتعرف على أقسام المزيد الثلاثي بالتفصيل:

أولا: المزيد بحرف واحد:

الفعل المزيد فيه بحرف واحد على ثلاثة أوزان:

١- **فاعل:** قاتل، شارك، غافل، ذاكر، ناقش، بزيادة الألف بعد فائه فالأصل فى الأفعال السابقة على الترتيب: قتل، شرك، غفل، ذكر، نقش.

٢- **أفعل** مثل: أكرم، أحسن، أعطى، أنطق بزيادة الهمزة قبل فائه فالأصل فى الأمثال السابقة على الترتيب: كرم، حسن، عطى، نطق.

٣- **فعّل** مثل: قدم، ربى، ذكر، قتر، برأ بزيادة حرف من جنس عينه أي تضعيف العين، من باب تقوية الفعل، والمبالغة فيه، وقبل الإدغام كانت تلك الأفعال ثلاثية مجردة.

ثانيا: المزيد بحرفين: للمزيد الثلاثي بحرفين خمسة أوزان هي:

١- افتعل مثل: استمع، اشتاق، اشترك، اتخذ، اتقى، ادعى، امتد، والحرفان الزائدان هما: الهمزة في أوله، والتاء بعد الفاء، ويبقى أصل الفعل بعدهما.

٢- انفعل مثل: انكسر، انطلق، انشرح، انبطح، انمحى، انفتح، انصهر بزيادة الهمزة، والنون.

٣- تفاعل مثل: تشارك، تقابل، تشاكى، تجاوب، تناصر، تسامح بزيادة التاء في أوله، والألف بعد فائه.

٤- تفعل مثل: تقدم، تنور، توعد، تزكى بزيادة التاء في أول الفعل، وتضعيف عينه.

٥- افعل مثل: اسود، ابيض، احمر، اعوج بزيادة الهمزة وتضعيف اللام.

ثالثا: مزيد الثلاثى بثلاثة أحرف: يأتى ذلك النوع على أوزان أشهرها:

١- استفعل مثل: استخرج، استقام، استمد، استقبل بزيادة الهمزة، والسين والتاء فى أول الفعل.

٢- افعوعل مثل: اعشوشب المكان، أى كثر عشبه، اغدودن الشعر، إذا طال، ومنه اخشوشن بزيادة الهمزة، وتضعيف العين مع الفصل بينهما بالواو.

ب- أوزان الرباعي المزيد فيه وملحقاته:

الرباعى المزيد فيه على قسمين: ما زيد فيه حرف واحد، وما زيد فيه حرفان.

أولا: الرباعى المزيد فيه بحرف واحد:

الفعل الرباعي الذى يزاد حرفا واحدا يأتى على وزن واحد هو تفعلل، بزيادة تاء في أوله، ومنه: تدحرج، وتبعثر، تلعثم، تزلزل، تأخّر، تفرّد، تطوّر.

ثانيا: الرباعى المزيد فيه بحرفين:

الرباعي الذى يزاد حرفين، يأتى على وزنين هما:

١- افعنلل مثل: احرنجم [٧٧]، وافرنقع [٧٨] بزيادة همزة الوصل فى أوله، والنون بعد عينه.

٢- افعلَلَّ مثل: اطمَأَنَّ، واقشعرَّ بزيادة همزة الوصل فى أوله، وتضعيف لامه الثانية، من الفعلين: طمأن، قشعر.

---

[٧٧] **حرجمت الإبل أي: جمعتها، فاحرنجمت. انظر: التطبيق الصرفي ص٣٢.**

[٧٨] **( ) افرنقع أي: تفرق وابتعد، من فرقع. ظ: القواعد العربية الميسرة، د. يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت ص٧٨.**

الفعل من حيث الصحة والاعتلال

ينقسم الفعل إلى صحيح، ومعتل: فأما الصحيح: فهو ما خلت حروفه الأصلية الفاء، أو العين، أو اللام من أحد حروف العلة الثلاثة: الألف والواو والياء، وينقسم ذلك الصحيح إلى ثلاثة أقسام: السالم والمهموز والمضاعف. أما السالم: فهو ما سلمت حروفه –مع السلامة من العلة– من الهمزة، ومن التضعيف سواء فى أوله، أو وسطه، أو آخره نحو: كتب، وفهم، وسلم، وشرب، وفطن، ونصر، وفتح. والمهموز: هو ما سلمت حروفه من العلة والتضعيف، وكانت أحد أصوله الثلاثة همزة، فإذا وقع الهمز أول الفعل فهو مهموز الفاء مثل: أخذ، أمن، وأكل، وأمر، وأبق [٧٩]، وأبه [٨٠]، ومنه أسن، أَسَنَ الماءُ يَأْسُنُ وَيَأْسِنُ أُسُوناً: إِذَا تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَطَعْمُهُ وَرِيحُهُ وَفَسَدَ، فَلاَ يُشْرَبُ مِنْ نَتْنِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ" محمد ١٥، أَيْ غَيْرِ مُتَغَيِّرٍ، ومنه أجن، أَجَنَ المَاءُ يَأْجُنُ وَيَأْجِنُ أَجْناً وَأُجُوناً: إِذَا تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَرِيحُهُ وَطَعْمُهُ لِتَقَادُمِ عَهْدِهِ فِي المَوْضِعِ الَّذِي يَكُونُ فِيه، إِلاَّ أَنَّهُ يُمْكِنُ شُرْبُهُ، قَالَ الرَّاجِزُ العجاج :

وَمَنْهَلٍ فِيهِ الغُرَابُ المَيْتُ كَأَنَّهُ مِنَ الأُجُــونِ زَيـتُ

أَيْ: كَأَنَّهُ مِنَ التَّغَيُّرِ [٨١] ، ومنه كذلك: أبد وأبن وأبق وأثم، يقال: أَبَدَتِ البَهِيمَةُ تَأْبُدُ وَتَأْبِدُ: إِذَا تَوَحَّشَتْ، وأَبَقَ العَبْدُ يَأْبُقُ وَيَأْبِقُ: إِذَا هَرَبَ، وأَبَنَهُ بِشَيْءٍ يَأْبُنُهُ وَيَأْبِنُهُ: إِذَا اتَّهَمَهُ بِهِ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِ، وقَالَ بَعْضُهم: لا يُقَالُ إِلاّ فِي الشَّر، وقِيلَ: يُقَالُ فِي الشَّرِ وَفِي الخَيْرِ؛ وَفِي الحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُسْتَعْمَلُ فِي الخَيْرِ وَهُوَ

---

[٧٩] أبق العبد أبقا وإباقا: ذهب بلا خوف ولا كد عمل، فهو أبق، قال تعالى: "وإن يونس لمن المرسلين. إذ أبق إلى الفلك المشحون" الصافات ١٣٩، ١٤٠، انظر مختار القاموس ص١٢.

[٨٠] أبه له: فطن، وأبهته تأبيها أي: فطنته ونبهته، وتأبه عن كذا أي تنزه عنه. ظ: المختار ص١٢، والأبهة: العظمة، ظ: اللسان.

[٨١] اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر، أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ثم البيري، أبو جعفر الأندلسي (المتوفى: ٧٧٩هـ)، تحقيق: عبد الله حامد النمري، الناشر: هي رسالة ماجستير – بكلية الشريعة جامعة أم القرى (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ص ٨٥.

قَوْلُهُ: "نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ" أَيْ: نَتَّهِمُهُ ، فعن أبي سعيد الخدري قال: كُنَّا في مَسِيرٍ لنا فَنَزَلْنا، فَجاءَتْ جارِيَةٌ، فقالَتْ: إنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وإنَّ نَفَرَنا غَيْبٌ، فَهلْ مِنكُم راقٍ؟ فَقامَ معها رَجُلٌ ما كُنَّا نَأْبُنُهُ برُقْيَةٍ، فَرَقاهُ فَبَرَأَ، فأمَرَ له بثَلاثِينَ شاةً، وسَقانا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنا له: أكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً – أوْ كُنْتَ تَرْقِي؟ – قالَ: لا، ما رَقَيْتُ إلَّا بأُمِّ الكِتابِ، قُلْنا: لا تُحْدِثُوا شيئًا حتَّى نَأْتِيَ – أوْ نَسْأَلَ – النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَلَمَّا قَدِمْنا المَدِينَةَ ذَكَرْناهُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فقالَ:" وما كانَ يُدْرِيهِ أنَّها رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا واضْرِبُوا لي بسَهْمٍ."[٨٢]

أَثَمَهُ اللَّهُ فِي كَذَا يَأْثُمُهُ وَيَأْثِمُهُ: إِذَا عَدَّهُ عَلَيهِ إِثْماً، وَأَنْشَدَ الفَرَّاءُ لنصيب الأسود:

وَهَلْ يَأْثُمَنِّي اللَّهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا وَعَلَّلْتُ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ

أي: هل ارتكبت إثما بذكري لها [٨٣]، وقد يقع الهمز عينا (وسط الفعل)، نحو: سأل، وسئم، تئق[٨٤]، وقد يقع الهمز لاما، أي: في آخر الفعل نحو: قرأ، وبرأ، وصدأ، جرؤ.

والمضاعف: هو الثلاثي الذى عينه، ولامه من جنس واحد نحو: شد، مد، وسر، وشذ، وعز، وعض، أو رباعي الأصول وفاؤه ولامه الأولى من جنس، وعينه ولامه الثانية من جنس آخر نحو: غرغر، صرصر، وزلزل [٨٥].

والفعل المعتل: هو ما كان أحد حروفه الأصول حرفا من حروف العلة الثلاثة وينقسم إلى أربعة أقسام: المثال، والأجوف، والناقص، واللفيف. فأما المثال فهو ما كانت فاؤه حرف علة مثل: وعد، وورث، ويئس، ويسر، ووجل. والأجوف: ما كانت عينه حرف علة مثل: قال، وقام، وباع، وحول، ورام.

---

٨٢ رواه البخاري.

٨٣ اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر، ص ٨٤.

٨٤ تئق السقاء –من باب فرح– امتلأ، وتئق على: امتلأ غضبا وحزنا، وفى المثل: "أنا تئق، وأنت مئق، فمتى نتفق؟" ظ: دروس التصريف ص ١٣٧، وقوله مئق أى شديد الغضب.

٨٥ السابق، ص١٣٨.

والناقص: ما كانت لامه حرف علة مثل: رنا، ودنا، ورضى، ونهو، وسعى، ودعا، ورمى، وبنى.

واللفيف: ما اجتمع فى أصوله حرفان للعلة، فإن كانت عينه ولامه حرف علة، فهو اللفيف المقرون مثل: طوى، وهوى، ونوى، وشوى، وقوى، حيى.

فإن كانت الفاء واللام هما حرفا العلة، فهو اللفيف المفروق مثل: وعى، ووقى، وولى، ووري، وونى، ووفى.

لوحظ بالبحث أنه لا يوجد فعل في العربية جميع أصوله حروف علة، ولا يوجد فعل اعتلت فاؤه وعينه[٨٦].

[٨٦] **قواعد الصرف أسلوب العصر ص ٣٩.**

الأ د ب

الأدب العربي هو جزء من تاريخ العرب المرتبط بشكل رئيسي باللغة والثقافة العربية، من: شعر، وقصة، ورواية، ومسرحية، وكل هذه الأعمال تعرف بالأدب العربي، وتنقل صورة عنه لجميع شعوب العالم، لذلك ترجمت العديد من المؤلفات العربية لمختلف اللغات العالمية، حتى يتم اكتشاف الفكر العربي بشكل أوضح. استفادت منه العديد من الحضارات، وساهم في تطورها، ورقيها عبر الزمن، ومما لا شك فيه أن الأدب العربي كان الأساس للعديد من الأنواع الأدبية الأخرى المنتشرة في جميع أنحاء العالم.

تاريخ الكلمة:

تقلبت هذه اللفظة في العربية على ثلاثة أدوار لغوية، تتبع ثلاث حالات من أحوال التاريخ الاجتماعي؛ فهي لم تكن معروفة في الجاهلية وصدر الإسلام إلا بما يؤخذ من معناها النفسي الذي ينطوي فيه وزن الأخلاق وتقويم الطباع والمناسبة بين أجزاء النفس في استوائها على الجملة، وكل ما هو من هذا الباب؛ ومنه الحديث الشريف: "أدبني ربي فأحسن تأديبي". [٨٧]

ولعل ذلك كان توسعًا منهم في أصل مدلول الكلمة الطبيعي، على ما هو معروف من أمرهم في اشتقاق اللغة وانتزاع بعضها من بعض؛ فإنهم يقولون: أدب القوم يأدبهم أدبًا، إذا دعاهم إلى طعام يتخذه، ثم لما جاء الإسلام ووضعت أصول الآداب، واجتمعوا على أن الدين أخلاق يتخلق بها، فشت الكلمة، حتى إذا نشأت طبقة المعلمين لعهد الدولة الأموية، أطلق على بعض هؤلاء لفظ المؤدبين، وكان هذا الإطلاق توسعًا ثانيًا في مدلول "الأدب" لأنه اكتسب معنى علميا إذ صار أثرًا من آثار التعليم.

[٨٧] **أورده الشوكاني في "الفوائد المجموعة" (١٠٢٠)،والفتني في "تذكرة الموضوعات" (٨٧)، وقيل : ضعيف، ولكن معناه صحيح.**

ثم استفاضت الكلمة وكانت مادة التعليم الأدبي قائمة بالرواية من الخبر والنسب والشعر واللغة ونحوها، فأطلقت على كل ذلك، ونزلت منزلة الحقائق العرفية بالإصلاح؛ وهذا هو الدور الثالث في تاريخها اللغوي، وهو أصل الدلالة التاريخية فيها.

وقال ابن خلدون في حد الأدب: "هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة، من شعر عالي الطبقة، وسجع متساو في الإجادة، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض من أيام العرب ليفهم به ما يقع في أشعارهم منها، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة، والأخبار العامة. والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه ... ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف، وبعد أن عرفت حدود الأدب في القرن الثاني واشتهرت الكلمة، بقيت لفظة "الأدباء" خاصة بالمؤدبين، لا تطلق على الكتاب والشعراء، واستمرت لقبًا على أولئك إلى منتصف القرن الثالث، ومن ذلك كان منشأ الكلمة المشهورة "حرفة الأدب" وأول من قالها الخليل بن أحمد صاحب العروض المتوفى سنة ١٧٥هـ، وذلك قوله كما جاء في "المضاف والمنسوب" للثعالبي: "حرفة الأدب آفة الأدباء"؛ لأنهم كانوا يتكسبون بالتعليم ولا يؤدبون إلا ابتغاء المنالة، وذلك حقيقة معنى الحرفة على إطلاقها، فلما فشت أسباب التكسب بين الشعراء في القرن الثالث، وبطلت العصبية التي كانت تجعل للشعر معنى سياسيا فاتخذوه حرفة يكدحون بها، وجعلوه مما يتدرع به إلى أسباب العيش، جائزة خليفة أو منادمة أمير أو ما دون ذلك من الأسباب أيها كان انتقل إليهم لقب الأدباء، للمناسبة بين الفئتين في الحرفة، ولم يلبثوا أن استأثروا

به لتوسعهم في تلك الأسباب، وهذا هو أصل الكلمة التي تعاورها الأدباء، واعتبرها الشعراء ميراثًا دهريا إلى اليوم، ثم صارت الآداب من يومئذ تطلق أيضًا على فنون المنادمة وأصولها، وأحسب ذلك جاءها من طريق الغناء؛ إذ كانت تطلق عليه في القرن الثالث؛ لأنه بلغ الغاية من إحكامه وجردت فيه الكتب، وأفردت له الدواوين من مختارات الشعر، وكانوا يعتبرون معرفة النغم وعلل الأغاني من أرقى الآداب؛ لذلك قال ابن خلدون: إن الغناء في الصدر الأول كان من أجزاء هذا الفن "الأدب" وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصًا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه. أما الأعراب فلم يجر عليهم حكم الأدب، ولم يتناولوا الكلمة على اصطلاحها، وإنما اتخذ بعضهم لقب الأديب يتمدح به على جهة ما ينشأ عنه من معاني الرقة الحضرية التي تقابل في طباعهم الجفاء ولوثة الأعرابية.

ولم ينتصف القرن الرابع حتى كان لفظ "الأدباء" قد زال عن العلماء جملة، وانفرد بمزيته الشعراء والكتاب في الشهرة المستفيضة، لاستقلال العلوم يومئذ وتخصص الطبقات بها، على ما كان من ضعف الرواية ونضوب مادتها حتى قالوا: "ختم تاريخ الأدباء بثعلب والمبرد". وكانت وفاة المبرد سنة ٢٥٨هـ، وثعلب سنة ٢٩١هـ؛ فيكون ختام تاريخ الأدباء "أي: المعلمين" في أواخر القرن الثالث، ومن يومئذ أخذ الأدب يتميز عن علم العربية، بعد أن كانوا يعدون "الأدباء" أصحاب النحو والشعر، وإن كان ذلك بقي موضوع علم الأدب؛ فدل صنيعه على أن الشعراء، يومئذ كانوا هم المستبدين بلقب الأدباء، ولا يزالون على ذلك إلى اليوم وإلى ما شاء الله؛ لأن معنى الأدب قد استحجر فعاد لغويا كأنه كذلك في أصل الوضع، من جهة الدلالة به على الشعراء والكتاب.[٨٨]

[٨٨] تاريخ آداب العرب، المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، ١: ٢١- ٢٥.

مراحل تطور الأدب العربي:

تعد تلك المراحل توثيقا للحقب التاريخية التي مر فيها الأدب العربي، منذ نشأته حتى العصر الحديث، حيث يوضح كافة التطورات، والتغيرات التي طرأت عليه، وأهم المراحل الأدبية التي أثرت بالأدب العربي:

الأدب الجاهلي:

هو بداية الأدب العربي، وسمي بالجاهلي؛ لأنه سبق انتشار الدين الإسلامي في الجزيرة العربية، وأكثر أنواع الأدب العربي ازدهاراً هو الشعر، فقد كان للسان العربي فصاحة واضحة في جميع المحافل الشعرية كالغزل، والمديح، والذم، والرثاء. انتشر في ذلك العصر الشعر الغزلي، والذي كان يتغزل فيه الشاعر بمحبوبته، وسمي هذا الشعر (الغزل العذري)، وذلك بسبب عدم ذكر الشاعر لأية معلومة عن حبيبته، بسبب العادات، والتقاليد، والأخلاق السائدة عند العرب، ومن أشهر شعراء الجاهلية العرب: امرؤ القيس، ومهلهل بن ربيعة، وجميل بن معمر (جميل بثينة).

الأدب الإسلامي:

عندما انتشر الدين الإسلامي بين العرب في شبه الجزيرة العربية، حافظ على اللغة العربية من الاندثار، وعمل على إلغاء أية أصناف أدبية غير أخلاقية، حرمها الإسلام، لتتم صياغة الأدب العربي بأسلوب عربي، وإسلامي مميز، وساهم الإسلام بازدهار النثر العربي، والذي تضمن العديد من المواضيع، التي تدعو إلى الجهاد في سبيل الله، والمحافظة على الأخلاق. أشهر شعراء العهد الإسلامي: حسان بن ثابت شاعر (الرسول صلى الله عليه وسلم، والخنساء، وقد شهد الأدب الإسلامي العديد **من المراحل المؤثرة فيه، ومن أهمها:**

الأدب الأموي: قيام الدولة الأموية، أثر على الأدب العربي، عن طريق الاهتمام بالحياة السياسية، فاعتمد الأمويون على الفكر العربي الذي أخذوه معهم من الجزيرة

العربية، إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية، فعاصر الأدب العربي في هذه المرحلة تطورات عديدة؛ بسبب دخول ثقافات جديدة إليه، من بلاد الشام، والعراق، ومصر، ظهرت طبقة تسمى الموالي، وهم من الأشخاص الذين أتقنوا اللغة العربية، وعرفوا التراث العربي، وظهر منهم الشعراء، والكُتاب، وقد عمل ولاة بني أمية على تكريم الأدباء العرب، وخصوصاً الشعراء الذين تخصصوا بمدحهم، للحصول على ثقتهم، وعلى المال الوفير.

الأدب العباسي:

بعد سقوط الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية، حافظ الأدب العربي على انتشاره بين العرب، وغير العرب من الدول التي تمكن المسلمون من فتحها، وقد اهتم أدباء العرب آنذاك بالشعر، والخطب، واللغة، وتأليف الكتب، والمخطوطات. احتوت بغداد عاصمة الدولة العباسية، على العديد من المؤلفات العربية ذات القيمة الأدبية، والثقافية، وانتشر التدوين، وحفظ المخطوطات في المكتبات، حتى ظهر سوق خاص بالكتب، والكتابة عرف باسم (سوق الوراقين)، نسبة إلى الورق الذي استخدم في كتابة النصوص.

الأدب الحديث:

مرت على الأدب العربي العديد من العصور المتلاحقة التي شهدت ازدهاره، وركوده، حتى ظهر الأدب الحديث في بدايات القرن التاسع عشر للميلاد، وانتشرت في هذا العهد الترجمة، من الأدب الأوروبي إلى اللغة العربية، بعد أن كان الأوروبيون هم من ينقلون، ويترجمون الأدب العربي. شهدت الدول العربية انتشار العديد من المجالات الأدبية، فظهر المسرح العربي، وظل للكلمة المكتوبة بريقها في الثقافة العربية، سواءً أكانت شعراً، أو قصةً، وشهدت نهايات القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، ظهور العديد من الأدباء، والمفكرين، والشعراء، والكُتاب، ومنهم:

حافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، وإبراهيم طوقان، وجبران خليل جبران، ونزار قباني، وميخائيل نعيمة، وغيرهم.

مقتطفات أدبية:

أقبل رجل على عمر بن الخطاب، فقال: ما اسمك؟ فقال: شهاب بن حرقة، قال: ممن؟ قال: من أهل حرة النار، قال: وأين مسكنك؟ قال: بذات لظى، فقال: فأدرك قومك فقد احترقوا.

سئل بعض العرب عن اسمه؟ فقال: بحر، قال: ابن من؟ قال: ابن فياض، فقال: ما كنيتك؟ فقال: أبو الندى، فقال: لا ينبغي لأحد لقاءك إلا في زورق.[٨٩]

[٨٩] الكشكول، ١: ١٦٦.

عَلَى قَدْرِ أَهلِ العَزمِ تَأتِي العَزَائِمُ

عَلَى قَدْرِ أَهلِ العَزمِ تَأتِي العَزَائِمُ وتَـأتِي عَلَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ

وتَعظُمُ فـي عَينِ الصّغِيرِ صِغارُها وتَصغُر فـي عَينِ العَظِيمِ العَظائِمُ

ويَطلب عِندَ النـاسِ مـا عِندَ نَفسهِ وذلِـكَ مـا لا تَدَّعِيـهِ الضَـــــراغِمُ

سَـقَتها الغَمـامُ الغُرُّ قَبلَ نُزولـهِ فَلمـا دَنـا منـها سقتها الجَمـــــاجِمُ

وَكـانَ بِهـا مِثلُ الجُنونِ فـأَصبَحَت ومِـن جُثَثِ القتَلَى عَلَيها تَمـــــائِمُ

وقـد حاكَمُوهـا والمَنايـا حَواكِمٌ فما ماتَ مَظلُومٌ ولا عاشَ ظـــالِمُ

أَتَـوكَ يَجُـرُّونَ الحَـدِيدَ كأنّمـا سَـرَوْا بِجِيـادٍ مـا لَهُنَّ قَـــوائـــــمُ

إذا بَرَقُوا لـم تُعرَفِ البِيضُ مِنهُمُ ثِيـابُهُمُ مـن مِثلِهـا والعَمـــــــائِمُ

خَمِيسٌ بِشَرقِ الأرضِ والغَربِ زَحفُهُ وفـي أذُنِ الجَـوزاءِ منـهُ زمـــــــازِمُ

وَقَفتَ وَمـا فـي المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ كـأَنكَ فـي جَفنِ الرَّدَى وَهْوَ نـــــائِمُ

تَمُـرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلْمَى هَزِيمـةً ووَجــهُكَ وَضَّـــاحٌ وثَغْرُكَ باسِــمُ

أَلا أَيُّهـا السَّيفُ الَّذي لَيسَ مُغمَداً وَلا فيـهِ مُرتـابٌ ولا مِنـهُ عاصِـــــمُ

هَنِيئـا لِضَربِ الهـامِ والمَجدِ والعُلَى وَراجِـيكَ والإِســـلامِ أَنـكَ ســـالِـمُ

ولِـم لا يَقِـي الرَّحمنُ حَدّيكِ ما وَقَى وتَفلِيقُـهُ هـامَ العِدَى بِكَ دائـــمُ

الشرح والتحليل :

لقد كان الشاعر مفعم الإحساس مملوءا بالحيوية والحركة في وصفه للمعركة التي خاضها سيف الدولة الحمداني، وإن دل هذا الأمر على شيء فإنما يدل على أن المتنبي كان حاضرا للمعركة؛ فذلك الوصف الدقيق الساحر لها لا يمكن أن يقوله المتنبي إلا إذا كان شاهد عيان علي أحداث تلك المعركة.

إن تعظيم المتنبي لسيف الدولة أمر تطرب إليه الآذان فهو يمجده ويمدحه بكامل الصفات ويدل ذلك على حب المتنبي لسيف الدولة؛ فالمتنبي كان يرى نفسه في

سيف الدولة ويرى بأن سيف الدولة هو القائد الوحيد الذي يمكنه دق حصون الروم الجبناء.

إذا القصيدة التي بين أيدينا هي في مدح سيف الدولة وعزيمته في القضاء على الروم ثم وصف المعركة الطاحنة التي انتهت بالنصر لسيف الدولة على أعدائه .

ومن خلال ذلك يتضح لنا أن القصيدة في مجملها من أول بيت إلي آخر بيت تحكمها ثلاث أفكار رئيسة، هي: الإرادة – التردد – الانتصار.

إرادة سيف الدولة التي لا تنقطع وعزيمته الصلبة في إطاحة أعداء الإسلام، هذه الفكرة الرئيسية تقابلها فكرة رئيسية أخرى وهي تردد الروم وجبنهم عند مواجهة جيش سيف الدولة، ثم إن التناقض والصراع بين هاتين البنيتين ينتج لنا فكرة ثالثة وهي انتصار الإرادة على التردد.

هذه هي الأفكار الأساسية التي تجلت على طول القصيدة ولكن بالغوص أعماق القصيدة نجد بأن الشاعر استطاع توظيف الأصوات والمفردات والتراكيب في إبراز الناتج الدلالي وذلك من خلال ظاهرة التقابل (عزيمة سيف الدولة من جهة وجبن الروم وخوفهم من جهة أخري) وسنتحدث عن ذلك بالتفصيل ومن خلال الأفكار الجزئية التي تحملها هذه القصيدة نستطيع تجزئتها حسب كل فكرة إلى ستة أقسام وهي: العزيمة سلاح الانتصار، المعركة الطاحنة، عدة وعتاد ولكن بلا جدوى، قوة المتنبي الخارقة، انتهاء الأمر بهزيمة الروم، سيف الدولة ذخر للإسلام .

ومن خلال هذا التقسيم الفكري للقصيدة سنلاحظ وجود ظاهرة التقابل بجميع اطيافها وذلك كالتالي:

في هذه المقطع يرسم الشاعر لنا صورة عامة عن العزيمة والشجاعة والتي يظهر فيها التقابل الذي يثري الجانب الدلالي، فالكلمات التالية(العزم العزائم الكرام المكارم تعظم العظيم العظائم) تحمل جانبا من الإصرار والإرادة في تحقيق النصر على الأعداء والذي تجسد في سيف الدولة. إذا سبع كلمات حملت في باطنها الإقدام

والشجاعة في مقابل كلمتين (الصغير والصغائر) واللتان دلتا على التردد والجبن والذي يمثله الروم وجيشه. ومن المعروف أن المقدم إلى الحرب يعوزه في ذلك العدة والعتاد ولكن الشاعر في هذين البيتين أكد أن النصر لا يأتي بالعدة والعتاد دون وجود جانب مهم وهو العزيمة والإرادة والتي توفرت في سيف الدولة وكأن الشاعر يريد أن يقول ان عزيمة سيف الدولة هي التي حققت الانتصار. والتدقيق في الجانب الصوتي في البيت الثاني نجد أن هناك حروف قوية (كالظاء والعين والغين) تكررت أحد عشر مرة في بيت واحد في مقابل بعض الأصوات التي تدل على الضعف والانكسار كصوت (الصاد) الذي تكرر ثلاث مرات فقط ومن المعروف أن صوت الصاد من الأصوات الصفيرية التي تحمل جانبا من الانكسار والتحسر. وكذلك استخدام الشاعر لصيغة المفرد والجمع في كل شطرين من اشطر البيتين يفضي إلى نوع من الإيقاع المجلجل وذلك كما في: العزم العزائم، الكرام المكارم، الصغير صغارها، العظم العظائم، كما يتضح التقابل جليا في البيت الثاني وذلك من خلال استخدام الشاعر للمقابلة، المقابلة بين عظمة منزلة سيف الدولة وصغر منزلة الروم وذلك في قوله:

وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

ثم في المقطع الثاني وبعد أن كان حديث الشاعر عن الشجاعة والعزيمة عاما، بدأ المتنبي في تخصيص تلك الصفات وتجسيدها في سيف الدولة، وفي الأبيات يرسم الشاعر صورة تقابلية بين سيف الدولة وهممه من جهة وبين جيوش الأرض من جهة أخرى، فهمم سيف الدولة عالية تعجز عنها تلك الجيوش ويقصد الشاعر بذلك أن يضع سيف الدولة في كفة وجيوش الأرض في كفة أخرى ليرجح بذلك الكفة التي يتربع عليها سيف الدولة .

ثم يبدأ الشاعر برسم صورة محكمة لمعركة الحدث وما جرى بها ليكني في بدايتها بقوة سيف الدولة من خلال تصوير الطيور وهي تشكر سيوف سيف الدولة لأنها ساعدتها في حصولها على طعامها .

ووصفه للحدث أيضا (الحمراء) كناية عن قوة سيف الدولة في مواجهة جيش الروم حيث أصبحت الحدث حمراء من لون دماء الروم وكرر الشاعر عملية السقيا بألفاظ وأشكال متعددة فالسقيا من الغمام تارة ومن جماجم الروم تارة أخرى وقد أتى الشاعر بصور شخص فيها الجماد ومزج بين ما هو حسي وبين ما هو معنوي ببراعة تدل مهارته فقد بنى صور كلية فيما يقرب خمسة أبيات استغرقها في الحديث عن القلعة.

وطالما أن الشاعر يصف المعركة وصفات دقيقا فقد جاء بألفاظ تحمل معني التهويل والتعظيم لتدل على شراسة تلك المعركة فمنها (الخضارم، لضراغم، سلاحه، ضرها، مخالب، اسيافه، قوائم، الجماجم، يقرع، المنايا، متلاطم، جثث، القتلى) .

ومن المعروف أن حركة المقاتلين في المعركة تتسم بالسرعة عند الهجوم وعند الانسحاب فقد أكثر الشاعر من استخدام الأفعال المضارعة التي تدل على الحركة المتجددة داخل المعركة وهي (يكلف، يطلب، تدعيه، يفدي، تعرف، يقرع، تفيت، يأخذن، تنويه، تلقي، ترجى)، اذا احد عشر فعلا مضارعا وردت في مقطع يصف الحرب التي انقضت وبالتالي فإن المعهود هو استخدام الأفعال الماضية في الحدث الذي قضى وانتهى ولكن الشاعر استخدم خذه الأفعال المضارعة لينقل القارئ إلى جو المعركة ويشاهد بنفسه ما يحدث فيها.

يصف الشاعر في هذا المقطع جيش الروم وقوته كثرة عدته وعتاده وفي ذلك مدح لسيف الدولة نفسه حيث انه استطاع القضاء على ذلك الجيش الجرار وقد استخدم الشاعر في وصف ذلك الجيش عدة وسائل وهي :

١- الكناية وقد ظهرت في قوله: أتوك يجرون الحديد، خميس بشرق الأرض والغرب، إذا برقوا لم تعف البيض منهم، تجمع فيه كل لسن وأمة

٢- التشبيه وذلك في مثل قوله: زحفه، إذا برقوا، إذن الجوزاء.

٣- استخدامه لمفردات تدل على قوة جيش الروم وكثرة عتاده مثل: (الحديد، صارم، سروا، جياد، خميس، يجرون، برقوا، زحفه).

٥- كرر الشاعر في هذه الأبيات الخمس صوت (الجيم) خمس مرات أي ان عدده متساوي مع عدد الأبيات وصوت الجيم من الحروف القوية في اثراء المعنى وهذه الكلمات هي (يجرون، جياد، الجوزاء، تجمع، التراجم).

ثم يعود الشاعر للحديث عن سيف الدولة وشجاعته في مواجهة الأعداء فسيف الدولة على رأس مقاتليه والشاعر حاضرا للمعركة يصور سيف الدولة في منتصفها ويحليه بكل صفات الشجاعة ويتخذ الشاعر في تصويره ذلك مجموعة من الكنايات التي تعبر عن تلك الشجاعة فالروم منثورين كالدراهم وجثثهم منشره حول الوكور وسيف الدولة بجيشه يدوس تلك الوكور وصور الفلول المنهزمة التي تسبح على بطونها كالأفاعي .

فصورة الجثث المتناثرة حول الجبل صورة بشعة ولكنها تنعكس على نفسية الشاعر ليراها صورة جميلة جدا وذلك لفرحته بالنصر فيصورها بمنظر مليء بألوان الفرح.

وفي قوله: (ضممت جناحيهم) تصوير لبراعة سيف الدولة وإقدامه ما يشبه التورية حيث الجيش يتكون من الميمنة والميسرة والمقدمة والمؤخرة والقلب فهذا المعنى البعيد ، أما المعنى القريب فهو أجزاء الطير وهي صورة كلية رائعة وذلك تشكيل جمالي متميز يتجاوز حدود التورية والظواهر البلاغية المألوفة .

ومن الملاحظ أن الشاعر في هذا المقطع يكثر من استخدام الحال والحال تمثل وتشخص اللحظة الراهنة وتبين هيئة حدوث الفعل في تساعد على بث الحياة والحركة .

يستخدم الشاعر الاستفهام الإنكاري (أفي كل يوم – أينكر ريح الليث) وهذا الاستفهام يأتي موافقا للتقرير مقويا لتأثيره مثيرا لنفس المتلقي. ويتعامل الشاعر مع الأشياء

وكأنها أحياء فالرمح حقيرة والسيف يشتم الرمح وكأننا نستمع إلى حوار بين هذه الأشياء . ويلاحظ أن الشاعر هنا قد لجأ إلى توكيد عباراته بمختلف أنواع التوكيد فمنها (قد عرفت –قد فجعته – الأفعال الماضية)ويركز على الصفات وتتابعها كما في قوله:

ومن طلب الفتح الجليل فإنما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم.

وفي نهاية القصيدة يذكر الشاعر رعاية الرحمن لسيف الدولة في هذه المعركة ومن الواضح انه لم يبدأ بذلك الحديث على في بداية القصيدة ولا في طول القصيدة وذلك لكي يحافظ على مدحه لشخصية سيف الدولة فقط لا غير حيث انه لو ذكر ذلك السبب الديني لكان من الممكن أن يقوم أي قائد إسلامي بما قام به سيف الدولة لذلك ذكر الشاعر ذلك السبب في نهاية القصيدة ليستدرج القارئ إليه بعد أن تأكد القارئ أن سيف الدولة منقطع النظير في الشجاعة والإقدام .

وفي النهاية إن القافية الميمية الحادة جاءت مواتية للإيقاع مناسبة للموقف كما أن البحر الذي كتبت عليه تلك القصيدة – وهو بحر الطويل – يتسع لذلك النفس الملحمي ويستوعب التفاصيل والمشاهد فهو من البحور الشائعة في شعر الحروب، وقد ضمن الشاعر قصيدته روحا إسلاميا وجاء الإيقاع متساويا مع الحالة النفسية المستقرة فجاء شعره خاليا من حدة التوتر متجها إلى الهدوء بعد طول توتر وصخب.

من أشعار صفي الدين الحلي: [٩٠]

أتطلبُ من أخٍ خُلقاً جليلاً وخَلْقُ الناسِ من ماءٍ مَهينِ

فسامحْ إن تكَّدَرَ وُدُّ خِلٍ فإنَّ المرءَ من ماءِ وطينِ

وقال أيضا:

ما كُلُّ مَن حَسُنَت في الناسِ سُمعَتُهُ وَحازَ قَلباً ذَكيّاً أَدرَكَ الأَمَلا

ما السَمعُ وَالقَلبُ مُدنٍ مِنكَ مَنقَبَةً إن لَم يَكُن مِثلَ ذا بَأساً وَذاكَ عُلا

من أشعار أبي العتاهية: [٩١]

أنصِفْ هُدِيتَ إذا ما كنتَ مُنتصفاً لا ترضَ لِلناس شيئاً لستَ ترضاهُ

يارُبَّ يوْمٍ أتت بُشراهُ مُقْبِلةً ثم استحالت بصوتِ النَّعيِ بُشْراهُ

وقال أيضا:

بَكيتُ عَلى الشَبابِ بِدَمعِ عَيني فَلَم يُغنِ البُكاءُ وَلا النَحيبُ

فَيا أَسَفا أَسِفتُ عَلى شَبابٍ نَعاهُ الشَيبُ وَالرَأسُ الخَضيبُ

عَريتُ مِنَ الشَبابِ وَكانَ غَضّاً كَما يَعرى مِنَ الوَرَقِ القَضيبُ

فَيا لَيتَ الشَبابَ يَعودُ يَوماً فَأُخبِرُهُ بِما صَنَعَ المَشيبُ

---

[٩٠] **صَفِيِّ الدين الحِلِّي (٦٧٧ - ٧٥٢ هـ / ١٢٧٧ - ١٣٣٩ م) هو أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي السنبسي نسبة إلى سنبس، بطن من طيّ. وهو شاعر عربي نظم بالعامية والفصحى، ينسب إلى مدينة الحلة العراقية التي ولد فيها.**

[٩١] **أبو العتاهية هو اسماعيل بن القاسم بن سويد، يكنى أبا إسحاق (ت: ٢١١هـ)، و"أبوالعتاهية" لقب غلب عليه، كان أبوه نبطيا يشتغل بالحجامة من (عين التمر) قرب الأنبار بالعراق، وضاقت به الحال فانتقل بأهله وولده إلى الكوفة، فاشتغل الابن زيد بصنعة الفخار وبيعها، واختلف أخوه "إسماعيل" إلى اللهو والبطالة، حتى أشركه أخوه في عمله. وفي هذه الفترة من حياته، برع في نظم الشعر، وتسامع به المتأدبون من الفتيان والشباب فقصدوه واشتهر شعره. ثم عزم على قصد بغداد مع صديقه "إبراهيم الموصلي"، وذهبا، غير أن أبا العتاهية لم يحمد قصده فعاد إلى الكوفة. وكانت حياته متضاربة، خالط فيها أهل اللهو والمجون، وعاش شطرا من حياته فيها، حتى قيل إنه "مخنث أهل بغداد"، ثم انصرف إلى الزهد، فعرف بذلك في زمانه، وظل المؤرخون في تضارب حول زهده ومجونه حتى وفاته. عرف أبو العتاهية طريق قصر المهدي عن طريق صديق استدعاه إليه، فاستمع المهدي إلى شعر أبي العتاهية فأعجب به ونال رضاه. وكان أبو العتاهية دميم الوجه قبيح المنظر، فلم ترض به جارية زوجة المهدي "عتبة" رغم أنه ذكرها في شعره وتعلق بها. ولما جاء الرشيد كان أبو العتاهية قد أعرض عن الشعر فطلب إليه أن يعود، فأبى، فحبسه في منزل مهيأ حتى عاد إلى الشعر، ولزم الرشيد، وقد مدح بعد الرشيد، الأمين، فالمأمون، ومات سنة ٢١١، وكانت ولادته في عين التمر سنة ١٣٠.**

اللغة العربية تتحدث عن نفسها

لشاعر النيل حافظ إبراهيم

رَجَعْتُ لنفسي فاتَّهَمْتُ حَصَاتي ونـاديتُ قَوْمي فاحْتَسَبْتُ حَيَاتي

رمَوْني بعُقْمٍ في الشَّبَابِ وليتني عَقُمْتُ فلم أَجْزَعْ لقَوْلِ عِدَاتي

وَلَدْتُ ولمّا لم أَجِدْ لعَرَائسي رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتي

وَسِعْتُ كِتَابَ الله لَفْظَاً وغَايَةً وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بهِ وَعِظَاتِ

فكيفَ أَضِيقُ اليومَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وتنسيقِ أَسْمَاءٍ لمُخْتَرَعَاتِ

أنا البحرُ في أحشائِهِ الدرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَأَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتي

فيا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِني وَمِنْكُم وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتي

فلا تَكِلُوني للزَّمَانِ فإنَّني أَخَافُ عَلَيْكُمْ أنْ تَحِينَ وَفَاتي

أَرَى لرِجَالِ الغَرْبِ عِزَّاً وَمِنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بعِزِّ لُغَاتِ

أَتَوا أَهْلَهُمْ بالمُعْجزَاتِ تَفَنُّنَاً فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بالكَلِمَاتِ

أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً من القبر يدنيني بغير أناة

وأسمع للكُتَّاب في مصر ضجة فأعلم أن الصائحين نعاتي

أيهجرني قومي عفا الله عنهم إلى لغة لم تتصل برواة

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

إلى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائي بعد بسط شكاتي

فإما حياة تبعث المَيْت في البِلَى وتُنبت في تلك الرُّمُوسِ رفاتي

وإما ممـات لا قيامة بعده ممات لعمري لم يقس بممات

من هو حافظ إبراهيم؟

هو الشاعر المصري محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، وقد اشتهر بحافظ إبراهيم، أحد كبار الشعراء، ولد في مدينة ديروط التابعة لمحافظة أسيوط وذلك في الرابع والعشرين من شباط (فبراير) لعام ١٨٧٢م، تميز حافظ إبراهيم بذاكرته المتّقدة القوية التي لم تضعف أبداً على مرّ الأيام والسنين، حيث كان حافظاً لآلاف من الأبيات الشعرية والقصائد بين قديمة وحديثة، ولقّب بـ(شاعر النيل)، وكذلك بـ (شاعر الشعب)؛ لأنّه يكتب من نبض الناس وإحساسهم فيتأثّر ويؤثّر بهم، فهو الشاعر الإنسان الذي أحب الأدب والشعر، وعكف على مطالعة الكتب، كان يعشق المزاح والمداعبة، غيور على الأمة وشخصيتها ولغتها وهويتها، وقد نشأ يتيم الأبوين؛ إذ توفيّ والده المصري وأمّه التركية وهو مازال صغيراً، فكفله خاله، وقد سجّل حافظ إبراهيم في شعره، أحداثاً كثيرة، منها المفرحة ومنها المؤلمة، فأثرت تلك الحوادث في قلبه ليترجمها قصائد مليئة بالإحساس النابض؛ لذا امتاز شعره بروح وطنية عالية، تلهج للتحرر من الاستعمار، وبمعاني واضحة وألفاظ جذلة، وعباراتٍ قويّة في صياغة الجمل، ثم بعد ذلك أصيب حافظ إبراهيم بفترة من اللامبالاة استمرت من عام ١٩١١م حتّى عام ١٩٣٢م؛ حيث لم يأبه للقراءة أو الاهتمام بزيادة علومه وثقافته، على الرغم من تسلّمه منصب رئيس القسم الأدبي في دار الكتب، فقد أعياه الكسل، واشتد الأمر عليه بضعف بصره.

حياة حافظ إبراهيم:

ولد الشاعر المصري حافظ إبراهيم على ظهر سفينة كانت راسية على نهر النيل في ديروط، أبوه مصري وهو المهندس إبراهيم فهمي والذي كان مشرفاً على قناطر ديروط، أما أمه فهي تركية الأصل، وعاش حافظ إبراهيم عند أبيه لمدة أربع سنوات، ولكن بعد هذه المدة توفي والده، فعاد هو وأمه من ديروط إلى القاهرة، وقد قام خاله المهندس محمد نيازي بالعناية والاهتمام به، وفي سنة ١٩٠٨م توفيت والدته، وبعد

ذلك قام خاله بنقله إلى العمل معه بطنطا، وقد ألحقه بالجامع الأحمدي ليعلمه الكتابة والقراءة، شعر حافظ إبراهيم بالضيق، لذلك رحل عن خاله، وكتب له رسالة تقول: (ثقلت عليك مؤونتي، إني أراها واهية، فافرح فإنّي ذاهب، متوجه في داهية)، وخرج حافظ إبراهيم من عند خاله، وتوجه إلى طرقات طنطا حتى وصل إلى محمد أبو شادي المحامي، وهو أحد الثوار المسؤولين عن ثورة ١٩١٩م، وقد قام بدوره على اطلاعه على الكتب الأدبية المختلفة، وقد أبدى إعجابه بالشاعر المصري محمد سامي البارودي، التحق حافظ إبراهيم بالمدرسة الحربية في سنة ١٨٨٨م، ثمّ تخرّج منها في سنة ١٨٩١م، وعمل في البداية ضابطاً برتبة ملازم ثاني في الجيش المصري، ثم عُيّن في وزارة الداخلية، وفي سنة ١٨٩٦م تمّ إرساله إلى دولة السودان مع الحملة المصرية، لكن لم تعجبه الحياة هناك، فشارك في الثورة مع العديد من الضباط، تمّ تعيينه رئيساً على القسم الأدبي في دار الكتب، وقد أصبح وكيلاً عنها، كما أنّه حصل على رتبة البكوية وذلك في سنة ١٩١٢م، لذا أطلق عليه لقب شاعر النيل، وعمل حافظ إبراهيم فترة من الزمن لدى مكتب للمحاماة، وذلك لإتقانه للغة الفرنسية، كما أنّه ترجم رواية البؤساء للكاتب فيكتور هوجو[٩٢]، كما اشترك مع خليل المطران في ترجمة لكتاب موجز الاقتصاد.

أشعار حافظ إبراهيم وقصائده:

حافظ إبراهيم هو أحد الشعراء الذين كانوا يحملون همَّ الوطن والشعب على كاهله؛ فقد كان يكتب العديد من القصائد الشعرية الوطنية، وقد أشاد الشعراء بوطنيته وقوميّته، كما أشادوا بصياغته وأسلوبه المميّزين، بالإضافة إلى ذلك فقد كان متأثراً بشكلٍ كبير بالشخصيات الوطنية المصرية البارزة مثل: سعد زغلول، ومصطفى كامل، وكان "شاعر النيل" يتميز بسرعة البديهة وفكاهاته الطريفة التي لا تُخطئ

[٩٢] وُلِدَ فيكتور هوجو في السادس والعشرين من فبراير، عام ١٨٠٢ بمدينة بيزانسون Besançon في فرنسا. وبرغم دراسته للحقوق وتدريبه على العمل في مجال المحاماة، إلا أنَّهُ اتخذ من كتابة الأعمال الأدبية مهنةً له، وأصبح أحد أبرز الشعراء والروائيين والكُتَّاب المسرحيين الفرنسيين في الحقبة الرومانسية. أنتج جُلَّ أعماله أثناء تواجده في باريس وبروكسيل وجزر القنال الإنجليزي. تُوفِّيَ هوجو في ٢٢ مايو، عام ١٨٨٥، بباريس.

مرماها، ومن المواقف التي تدل على هذه الصفات، هذا الموقف، حيث كان من عادة الكاتب عبدالعزيز البشري أن يزور صديقه "حافظ إبراهيم" بين الحين والآخر، وفي مرة قدم "البشري" لزيارة شاعر النيل في بيته بحلوان؛ واقترابه من البيت رأى الشاعر جالسًا في حديقة بيته يقرأ، فلما وصل وألقى عليه السلام قال البشرى "العتب على النظر يا حافظ بك، لما شفتك من بعيد تصورتك واحدة ست"، فرد عليه الشاعر الكبير بسرعة بديهة وفطرة ساخرة "والله يظهر إن نظرنا ضعف، أنا كمان شفتك وأنت جاي افتكرتك راجل!". ومنها أيضا أنه دعا مرة بعض أصدقائه لتناول طعام الإفطار في رمضان في منزله بحلوان، وكان معه الشيخ البشرى، وتأخر الأصدقاء بعد أذان المغرب، فدعا بالطعام وجلس معه الشيخ يأكلان، وما لبث الضيوف أن حضروا فبادرهم حافظ قائلًا: لا مؤاخذة لما تأخرتم أحضرت فقي البيت يفطر معايا، وأشار إلى الشيخ البشرى. وفى أحد الأيام قال حافظ إبراهيم لمحمد البابلي: لنا خمس وعشرون سنة أصحاب، لا أنا اغتنيت ولا انت اغتنيت.. ليه؟ هو إحنا مالناش عقل؟ فقال البابلي، هو إحنا لو كان لنا عقل كنا بقينا أصحاب؟.

وفاة حافظ إبراهيم:

توفي الشاعر حافظ إبراهيم في عام ١٩٣٢م، وذلك في الساعة الخامسة صباحاً من يوم الخميس، وكان حينها في ضيافة أصدقائه، ولكن لم يشاركهم الطعام لإحساسه بالمرض، وبعد أن غادرا أحس بالمرض فنادى على ابنه، والذي استدعى الطبيب بأسرع وقت، وعندما وصل كان حافظ إبراهيم قد لفظ أنفاسه الأخيرة، وتم تشييعه في موكب مهيب، ثم تمّ دفنه في مقابر السيدة نفيسة.

الشرح والتحليل:

رَجَعْتُ لنفسي فاتَّهَمْتُ حَصَاتي ونَاديتُ قَوْمي فاحْتَسَبْتُ حَيَاتي

يتحدث الشاعر على لسان اللغة العربية قائلة: عندما بدأت الدعوة إلى العامية، وفسدت الألسن، بدأت أحاسب نفسي وأبحث عن أسباب القصور في نفسي، فاتهمت عقلي بالقصور ،ثم استنجدت بقومي ممن يتكلمون هذه اللغة ، فلا مجيب، فاحتسبت حياتي وعددتها فيما يحتسب عند الله وجعلتها لخدمة الأمة ابتغاء مرضاة الله.

رمَوْني بعُقْمٍ في الشَّبَابِ وليتني عَقُمْتُ فلم أَجْزَعْ لقَوْلِ عِدَاتي

اتُّهمتُ ظلماً بالتخلف والجمود وعدم قدرتي على مواكبة العصر مع أني أزهو وأفتخر بين اللغات بالفصاحة والبلاغة، وتمنيت لو أني كنت كذلك؛ كي لا أجزع لما يقوله أعدائي .

وَلَدْتُ ولمّا لم أَجِدْ لعَرَائسي رِجَالاً وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتي

تكمل اللغة العربية دفاعها عن نفسها فهي تقول إنها لغة معطاءة منجبة؛ فهي تمتلك ثروة ضخمة من الألفاظ ولكنها عندما لم تجد الكفء المناسب الذي يحفظ أسرارها ويظهر جمالها ويحسن استخدامها انطفأ بريقها وحكمت عليها بالدفن وهي حية .

وَسِعْتُ كِتَابَ الله لَفْظَاً وغَايَةً وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بهِ وَعِظَاتِ

فكيفَ أَضِيقُ اليومَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وتنسيقِ أَسْمَاءٍ لمُخْتَرَعَاتِ

تخبر العربية بأنها ليست لغة عاجزة والدليل على ذلك أنها وسعت كتاب الله واحتوت جميع أحكامه وتشريعاته ولم تعجز عن وصف بينة أو موعظة أو هدف من أهداف القرآن الكريم، فكيف تعجز عن وصف ما صنعه المخلوقين أو تكوين مسميات للمخترعات العديدة التي لا تساوي شيئاً أمام ما استطاعت التعبير عنه في الماضي.

أنا البحرُ في أحشائِهِ الدرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَأَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتي

تستمر اللغة العربية في الدفاع عن نفسها رادة على كل أعدائها فتقول مفتخرة واصفة نفسها بالبحر الواسع الشاسع الذي يتوارى الدر الثمين في أعماقه وتحثنا على استخراجه والاستعانة بمن تعمقوا في اللغة وعرفوا أسرارها.

فيا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُم وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتي

تخاطب اللغة العربية أبناءها مترحمة على نفسها فمواضع جمالها ومحاسنها تفنى وتبلى وها هي تذوي شيئاً فشيئاً، وفيهم من يستطيع أن يعيد إليها جمالها وحسنها على الرغم من ندرة الدواء .

فلا تَكِلُوني للزَّمَانِ فإنَّني أَخَافُ عَلَيْكُمْ أنْ تَحِينَ وَفَاتي

تستنجد اللغة العربية بأبنائها وتحذرهم طالبة منهم ألاّ يتركوها أو يدعوها للزمان يعبث بها وتتصرف بها يد أعدائها ،فهي تخشى عليهم أن تحل وفاتها فتختفي وتفنى فيصبح العرب بلا هوية ولا لغة .

أَرَى لرِجَالِ الغَرْبِ عِزّاً وَمِنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بعِزِّ لُغَاتِ

تواصل اللغة العربية تحذيرها لأبنائها، فتنبهم إلى أنها ترى أبناء الغرب في عزة وقوة ومنعة ورفعة وما كان ذلك إلا بتمسكهم بلغتهم واعتزازهم بها .

أَتَوا أَهْلَهُمْ بالمُعْجزَاتِ تَفَنُّناً فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بالكَلِمَاتِ

تكمل اللغة حديثها عن رجال الغرب فتقول :إنهم قد حققوا بلغتهم المعجزات وقدموا أشكالاً وصوراً من التقدم في كل مجال بينما عجز أبناء اللغة حتى بالإتيان بالألفاظ الصحيحة .

أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً من القبر يدنيني بغير أناة .

تعرض اللغة في هذه الأبيات ما تواجه من الأخطار التي تجرفها للهاوية فهي كل يوم تجد الزلات والعثرات والأخطاء تملأ الصحف وهذه العثرات تقربها من النهاية بلا تمهل أو روية .

وأسمع للكُتَّاب في مصر ضجة فأعلم أن الصائحين نعاتي .

وتواصل عرض ما يحاك ضدها من مكائد فهي تسمع دعوات الكتاب في مصر الذين علا ضجيجهم بالدعوة إلى العامية، عندها أيقنت أن هؤلاء الكتاب هم من سيعلنون وفاتها ونهايتها .

أيهجرني قومي عفا الله عنهم إلى لغة لم تتصل برواة .

وبلسان الأم الحنون ...تتعجب اللغة من أبنائها الذين هجروها وتركوها– طالبة من الله أن يعفو عنهم– إلى لغة جديدة ركيكة لا أصل لها ولا تقارن باللغة العربية .

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات .

تصف اللغة العربية اللغة العامية فهي خليط ضعيف من اللغات المختلفة قد نفث الإفرنج فيها سمومهم كما يلوث سم الأفاعي الماء العذب .

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات .

إلى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائي بعد بسط شكاتي .

فإما حياة تبعث الميت في البلى وتنبت في تلك الرموس رفاتي .

وإما ممـات لا قيامة بعده ممات لعمري لم يقس بممات .

في نهاية القصيدة توجه اللغة النداء إلى معشر الكتاب الذين اجتمعوا في مجمع اللغة العربية قائلة أنها ترجوهم الآن بعد أن قدمت شكواها وأوضحت لهم الخطر المحدق بها، وتحذرهم من مصيرها فإما أن يعودوا إلى رشدهم ويتراجعوا عن دعوتهم ويهتموا بلغتهم لتعود فتحيا من جديد كما ينبت النبات ويحيا وإما يستمروا في غيهم فيكون مصيرها الفناء والموت وأي موت، موت لا يكون للعرب ولا لأبناء العربية قيام بعده.

سمات عامة في القصيدة:

١– تتسم القصيدة بالجزالة والقوة مع العذوبة والرشاقة والمواءمة بين اللفظ والمعنى .

٢- نرى في القصيدة أسلوباً محكماً وعبارات رشيقة، وتراكيب رصينة، وسلامة في التعبير .

٣- حلق الشاعر بخياله مع القدماء، فاستمد صوره الجزئية من الخيال العربي القديم، هذا بالإضافة إلى التشخيص الذي أعطى القصيدة جدة وابتكاراً .

٤- المعاني واضحة قوية تتسابق إلى القارئ من غير كد أو طول تأمل .

الصور البيانية :

(اتهمت حصاتي)، شبه اللغة العربية بالإنسان الذي يتهم نفسه ذكر المشبه " اللغة العربية"، وحذف المشبه به "الإنسان" ، وأتي بصفة من صفاتها وهي اتهام العقل على سبيل الاستعارة المكنية (تشخيص).

(ناديت قومي – احتسبت حياتي)، شبه اللغة العربية بالإنسان الذي ينادي ويحتسب الأجر ذكر المشبه "اللغة العربية" وحذف المشبه به، وأتى بصفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية (تشخيص).

(رمَوني بعقم)، شبه اللغة العربية بالمرأة التي تتهم بالعقم، ذكر المشبه اللغة العربية، وحذف المشبه به وأتى بصفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية (تشخيص).

(ولدت)، شبه اللغة بالمرأة التي تلد، ذكر المشبه وحذف المشبه به ، وأتى بصفة من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية (تشخيص).

(عرائسي) شبه كلمات العربية بالعرائس، حذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

(أنا البحر) شبه اللغة العربية في سعة ألفاظها وتعبيراتها بالبحر، وهو تشبيه بليغ.

(الغواص) شبه العالم باللغة العربية بالغواص حذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية. (صدفاتي) شبه ألفاظ اللغة العربية بالأصداف (استعارة تصريحية).

(أبلى وتبلى محاسني)، شبه اللغة العربية بالثوب الذي يبلى (استعارة مكنية)، الشطر الثاني (وإن عز الدواء أساتي) شبه علماء اللغة بالأطباء (استعارة تصريحية).

(وفاتي)، استعارة مكنية (تشخيص).

(أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً)، كناية عن الأخطاء الشائعة في الصحف، (نعاتي)، استعارة مكنية.

(سرت لوثة الإفرنج فيها...): تشبيه تمثيلي حيث شبه سريان اللكنات الأجنبية في اللغة العربية وإفسادها لها بسريان لعاب الأفاعي في الماء العذب وإفساده له.

البيت الخامس عشر: شبه اللغة العربية المختلطة بلهجات ولغات مختلفة بالثوب الممزق والمرقع برقع كثيرة الألوان والأشكال (تشبيه تمثيلي).

البيت السادس عشر: شبه الرجاء والشكوى بالثوب الذي يبسط (استعارة مكنية).

البيت السابع عشر: شبه الرفات بالنبات الذي ينمو وينبت (استعارة مكنية).

(تنبت في تلك الرموس رفاتي) كناية عن إحياء اللغة.

العاطفة:

عاطفة الشاعر عاطفة وطنية فيها حب للغة العربية، وغيرة عليها مع كره لأعدائها من المستعمرين وأتباعهم. هذه القصيدة قالها شاعر النيل " حافظ إبراهيم " مدافعا ومنافحا عن اللغة العربية، اللغة التي يفتخر ويعتز بها العرب والمسلمون؛ فهي تحفظ كتابهم وتشريعهم ، وتعبر عن علومهم وآدابهم. حين تعالى الهمس واللمز حولها في أوساط رسمية وأدبية، وعلى مسمع ومشهد من أبنائها واشتدّ الهمس وعلا الصوت، واستفحل الخلاف وطغى، ففريق يصل بها إلى أعالي القمم قدرة ومكانة، فهي بمقدورها استيعاب الآداب والمعارف والعلوم الحديثة، وفريق جحود ، يتهمها بالقصور والبلى وبالضيق عن استيعاب العلوم الحديثة، ولكن حافظاً الأمين على لغته الودود لها يصرخ في وجوه أولئك المتهامسين والداعين لوأدها في ربيع حياتها

بأن يعودوا إلى عقولهم ويدركوا خزائن لغتهم فنظم هذه القصيدة يخاطب بلسانها قومه ويستثير ولاءهم لها وإخلاصهم لعرائسها وأمجادها.

وأسلوب الشاعر في هذه القصيدة سهل واضح ، استخدم فيه أسلوب الحض ، وذلك لاستخدامه كثيرا من الجمل الإنشائية من أمر ونهي وتعجب واستفهام ورجاء في مثل قوله " وليتني عقمت "، " فكيف أضيق اليوم " فيا ويحكم " أيطربكم " أيهجرني " وغير ذلك .

كما أن معانيه جاءت واضحة مترابطة لا غموض ولا عمق فيها وهذا أمر طبعي إذ أنه يتحدث عن موضوع يهم الأمة الإسلامية وهو الحملة الجائرة على اللغة العربية وصمود هذه اللغة أمام هذه التحديات.

عبر الشاعر عن تلك المعاني بألفاظ وعبارات قوية موافقة للمعنى ، سهلة لا تحتاج إلى الرجوع للمعاجم ، استخدم اللفظة المعبرة للمعنى.

عاطفة الشاعر في هذه القصيدة عاطفة دينية تموج بالحب والغيرة على الأمة الإسلامية فلا غرو أن تكون صادقة لايخلو النص من الصور الخيالية التي تقرب المعنى وتجسده فاستخدم أسلوب التشخيص من بداية القصيدة ، حيث جعل العربية إنسانا يتحدث عن نفسه ، واستخدم البديع كالطباق في قوله : ولدت، وأدت.

قصيدة أضحى التنائي بديلا من تدانينا

القصيدة من ديوان ابن زيدون، فمن هو ابن زيدون؟

هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أحمد بن غالب بن زيد المخزومي، شاعر أندلسي، ولد في قرطبة عام ٣٩٤هـ في قبيلة بني مخزوم المعروفة بمكانتها العظيمة في الإسلام، حيث عرفت بشجاعتها وفروسيتها، كان والد وجدّ ابن زيدون من أعظم وأكبر العلماء والفقهاء المعروفين، وقد تولى جده القضاء في مدينة (سليم) الأندلسية. وقد عانى ابن زيدون من فقد والده عندما كان في الحادية عشر من العمر، الأمر الذي دفع جده لتربيته، وتنشئته على التنشئة السليمة، حيث علّمه النحو، والقرآن، والعلوم، والشعر، والأدب، ممّا زاد من ذكائه، فعُرف بالنبوغ في مختلف مجالات العلوم، خاصّةً في الشعر والنظم. موهبة ابن زيدون الشعرية اتصل ابن زيدون بأكبر الشعراء والأعلام في العصر الأندلسي رغم صغر سنّه، حيث تولّى العديد من المناصب العليا، وأهمّها منصب الوزارة، ومنصب القضاء، نظراً لدوره في نصرة المظلوم، والعدل، كما لم ينشغل عن موهبته الشعرية، حيث تغنّى بشعر من كلّ غرض، كالفخر، والرثاء، والغزل، والوصف، حيث برع في وصف الطبيعة.

دور ابن زيدون السياسي:

عاش ابن زيدون في أكثر الفترات العصيبة في العصور الإسلامية، حيث شهدت تلك الفترة الكثير من الفتن، لذلك لعب دوراً مهما في التأثير على الشعب، خاصةً بعد مقتل الكثير من قادة المسلمين، وأبرزهم الخليفة الأموي نتيجة الفتن الواقعة بين الولايات والطوائف، وكان لابن زيدون الدور الأكبر في إنهاء الخلافة الأموية في قرطبة، حيث ساعد ابن جهور على تأسيس الحكومة الجهورية، من خلال تحريكه للجماهير عن طريق استخدامه للشعر، لذلك اعتمد عليه الحاكم ابن جهور بشكلٍ كامل، مما أدى لتوطيد العلاقة بينهما، إلا أنها سرعان ما انتهت نتيجة تدخل بعض الوشاة الذين أوقعوا بينهم، مما أدى لاعتقال ابن زيدون، وسجنه.

ابن زيدون وولَّادة:

ظهرت مَلَكة الشعر عند ابن زيدون وهو في سن العشرين، عندما أطلق مرثيَّة بليغة على قبر القاضي ابن ذكوان عند وفاته، وسرعان ما تطوَّرت العلاقات إلى أن وصلت إلى ولّادة بنت المستكفي بالله الخليفة الأموي، التي ما لبثت بعد وفاة أبيها إلا أن انشقَّت عن النساء والتحقت بمجال الشعراء والأدباء، ويشهدُ لها الناس بحسن مجلسها وجمال مبسمها ووجهها. ولم يمرّ وقت كثير على تطور العلاقة بينهما، إذ أرسلت إليه رسالةً مجيبة له بعد إصراره على لقائها، قالت فيها:

ترقّب إذا جنّ الظلام زيارتي فإنّي رأيت الليل أكتم للسرِّ

وَبي منك ما لو كانَ بالشمسِ لم تلح وبالبدر لم يطلع وَبالنجم لم يسرِ

بيد أنَّ سرهما لم يلبث أن انكشف أمره أمام الناس، وتناقلت الإشاعات بأنَّ ابن زيدون يحبُّ جارية ولَّادة وكان أحدهم يقال له ابن عبدوس يحاول أن يظفر بولّادة مستنداً على ماله ونجح في ذلك، مما استثار حفيظة ابن زيدون، وبدأ يهجو بابن عبدوس بطريقةٍ لاذعة حوَّلت حبَّ بنت المستكفي إلى بغضٍ وكرهٍ شديدَين. ولم ينأ ابن عبدوس عن تدبير المكائد لابن زيدون فاتهمه بتبديد أموال مؤتمنٍ عليها، فحُطَّ به في السجن، إلَا أن ذلك لم ينسِهِ ولَادة وكتب نونيَّتَه هذه.

عُرف ابن زيدون بحبِّه الشَّديد لولَّادة بنت المستكفي، وقد ذكرها في الكثير من قصائده، وولَّادة بنت المستكفي هي ابنة الخليفة الأموي المستكفي بالله في الأندلس، وأمّها جاريةٌ إسبانيَّة، كانت من أروع الشُّعراء في زمانها، وبَرَعت في الأدَب والشِّعر، حوَّلت دارها بعد مقتل والدها وزوال الخلافة الأموية في الأندلس إلى ملتقىً أدبيّ، ومجلسٍ للشُّعراء والأدباء يتحدَّثون فيه عن شؤون الأدب والشِّعر، وكان ابن زيدون من رُوّاد هذا المجلس، وقد أحبَّها ابن زيدون حُبَّاً شديداً، إلَّا أن هذا الحب لم يدم كثيراً، ولم تدم أيام الصَّفا بينهم وقتاً طويلاً، فحصل بينهم الجَفا والفراق، ولم تتزوَّج ولّادة من أحد أبداً.

شعر ابن زيدون:

يحتلُّ شِعر الغَزل ثلث شِعر ابن زيدون، ويتميَّز غزله بالعاطفة القويَّة والمشاعر المتدفِّقة، وقد احتلّ وصف الطبيعة والمدح والرِّثاء نصيباً من قصائده، وكانت اللَّوعة والاشتياق لقرطبة ومحبوبته ولَّادة باديتان في قصائده، وقد اشتهر شعره بالبساطة واستخدام التَّراكيب الشِّعريَّة البسيطة. من أشهر قصائده القصيدة النونيَّة التي نحن بصدد شرحها، والَّتي أرسلها إلى محبوبته ولَّادة بعد فراره من السِّجن إلى إشبيلية، وهي قصيدة طويلة سنذكر منها بعض الأبيات.

وفاة ابن زيدون:

توفي ابن زيدون عام ٤٦٣هـ في إشبيلية عن عمر يناهز الثمانية والستين عاماً، عندما أرسله المعتمد على رأس الجيش ليوقف الفتنة الواقعة هناك، إلا أنّ المرض أصابه، ممّا أدى لوفاته.

القصيدة:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونابَ عن طيبِ لقيانا تجافينا

ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعِينَا

مَنْ مبلغُ الملبسِينا، بانتزاحِهمُ حُزْناً، معَ الدهرِ لا يبلى ويُبْلينَا

أن الزمان الذي ما زال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا.

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر آمينا

فَانحَلّ ما كانَ مَعقُوداً بأَنْفُسِنَا وَانْبَتّ ما كانَ مَوْصُولاً بأيْدِينَا

وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخشَى تَفَرّقُنا فاليومَ نحنُ، ومَا يُرْجى تَلاقينَا

يا ليتَ شعرِي ولم نُعتِبْ أعاديَكم هَلْ نَالَ حَظّاً منَ العُتبَى أعادينَا

لم نعتقدْ بعدكمْ إلاّ الوفاء لكُمْ رَأياً، ولَمْ نَتَقلّدْ غَيرَهُ دِينَا

بنْتُمْ وبنّا فما ابتلّتْ جوانحُنا شوقاً إليكمْ ولا جفّتْ مآقينا

نَكادُ حينَ تُناجيكمْ ضمائرُنا يَقْضي علينا الأسى لولا تأسّينا

حالتْ لفقدِكمُ أيامُنا فغدتْ سوداً وكانت بكم بيضاً لياليِنا

لا تَحْسَبُوا نَأيَكُمْ عَنّا يغيّرُنا أنْ طالَما غَيّرَ النّأيُ المُحِبّينَا!

واللهِ ما طلبت أرواحُنا بدلاً منكمْ ولا انصرفتْ عنكمْ أمانينا

يا سارِيَ البَرْقِ غادِ القصرَ وَاسقِ به مَن كانَ صِرْف الهَوى وَالوُدَّ يَسقينَا

وَيَا نسيمَ الصَّبَا بلّغْ تحيّتَنَا مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيّا كان يحيِينا

الشرح والتحليل:

الفكرة العامة: وفاء الشاعر في حبه لولادة.

يكاد الشاعر في هذه الأبيات، يذوب أسى وألما على فراق محبوبته ولادة بن المستكفي، ويتحرق شوقا إليها وإلى الأوقات الصافية الماتعة التي أتيحت له معها، وفي ظلال هذه العاطفة المتأججة الملتهبة، أنشأ هذه القصيدة النابضة بالحياة المترجمة عما في صدره من مكنون الحب والوفاء العجيبين.

الفكرة الأولى: وصف للحاضر الأليم، وتألم على الماضي الجميل، ويعبر عن كل ذلك من خلال أبيات تقطر وفاء وحبًا وتجلدًا.

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونابَ عن طيبِ لقيانا تجافينا

وهنا يستهل الشاعر قصيدته بالتوجع والتحسر على ما صارت إليه حاله فقد تغيرت من قرب بينه وبين محبوبته إلى بعد ونأي يتزايد مع الأيام. لقد تحول القرب بعدا وصار اللقاء جفاء وهو أمر يشقيه ويعذبه كما نجد الشاعر قد استخدم ألفاظا جزلة في التعبير عن مدى وطول البعد وقوة الشوق حيث استخدم ألفاظ ذات حروف ممدودة يمتد فيها النَفَسُ ليعبر عن ألمه ونجد ذلك في جميع ألفاظ البيت الأول. فهو يقول إن التباعد المؤلم بينه وبين محبوبه أضحى هو السائد بعد القرب الذي كان وحل مكان اللقاء والوصل الجفاء والهجر.

ألاّ وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ، صَبّحَنا حَيْنٌ، فَقَامَ بِنَا للحَيْنِ نَاعِينَا

متابعة للفكرة التي تسيطر على هذه المجموعة من الأبيات، والتي يتحدث الشاعر من خلالها عن مدى الحرقة، والألم اللذين أصاباه في مقتل، حتى أوشك على الهلاك. ولعل الشاعر قد وفق في توظيف الألفاظ الدالة والمعبرة عن تجربته الحزينة، حيتما استخدم ألفاظًا تعضد تلك التجربة الصادقة مثل: البين، والحين، ولعل مما ساعد على تأجيج تلك العاطفة، توظيفه للغة توظيفا غير مباشر، وغير حقيقي،

عندما اضاف الصبح للبين، مع ما بين المفردتين من مفارقات، فالصبح رمز التفاؤل، والأمل، تحول عند شاعرنا إلى معادل للفناء، والموت.

مَنْ مبلغُ الملبسِينا، بانتزاحِهمُ حُزْناً، معَ الدهرِ لا يبلى ويُبْلينَا

أن الزمان الذي ما زال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا

لا شك أن التعبير غير المباشر عن التجربة الشعرية يزيدها بريقًا، والقًا، لذا نرى الشاعر في البيت السابق يوظف الاستفهام لغير ما وضع له في الحقيقة، وذلك إظهار بغرض التوجع والتحسر والألم الذي حل به، ومما يدل على شدة معاناته انه راح يطلب من أي أحد أن يبلغ أولئك الذين ألبسوه هذا الثوب؛ ثوب الحزن الدائم، المتجدد وابتعدوا عنه(ويقصد هنا الواشين الذين فرقوا بينه وبين محبوبته) أن هذا الحزن ملازم له لا يفارقه حتى يهلك، وأن ضحكه قد تحول إلى بكاء دائم، و أن الزمان الجميل السابق والذي ملأ حياتنا أنسا، وحبورا، وسرورًا.. قد تحول، وتبدل.. فهو اليوم يبكينا، ويحزننا، وكأننا به وقد وصل به الضعف درجة يستعطف أولئك الشانئين أن يرقوا لحاله، وحال محبوبته وأن يتركوهما وشأنهما.

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر آمينا

ويستمر الشاعر في إرسال رسائله إلى محبوبته وإلى مستمعيه.. فيقول: بأن عذاله قد حنقوا عليه وعلى محبوبته لما بينهما من صفاء، وود، ومحبة، وأن الدهر قد استجاب لدعائهم وحقق لهم ما أرادوا من وقيعة بينهما فأصابهما الحزن والألم.

فَانحَلّ ما كانَ مَعقُوداً بأَنْفُسِنَا وَانْبَتّ ما كانَ مَوْصُولاً بأيْدِينَا

وَقَدْ نَكُونُ، وَمَا يُخشَى تَفَرّقُنا فاليومَ نحنُ، ومَا يُرْجى تَلاقينَا

من الواضح أن هناك ترابطًا بين البيت السادس، وبين البيت الخامس، بحيث صار البيت السادس نتيجة طبيعية لكيد العدا، والعذال الذين ساءهم ما كان عليه الحبيبان من وفاق، وصفاء، ومودة..، فكان نتيجة ذلك كله أن تفرقنا، وتباعدنا، وانفرط عقد

محبتنا، وما كان بيننا من وئام، واتفاق، حيث لم يكن يخطر ببال أحد منا أن يأتي هذا اليوم الحزين، الذي نفترق فيه فراقًا لا يرجى من ورائه لقاء، أو وصال.

يـا ليتَ شعرِي ولم نُعتِبْ أعاديَكم هَلْ نَـالَ حَظّاً منَ العُتبَى أعادينَا

لـم نعتقدْ بعدكمْ إلاّ الوفـاء لكُمْ رَأياً، ولَمْ نَتَقلّدْ غَيرَهُ دِينَا

وفي لهجة المحب المنكسر، والعاشق الواله، الذي يكتم الحسرات غصصا في قلبه يخاطب الشاعر، بل يعاتب، مستخدمًا أسلوب النداء وحذف المنادى، لأنه علم ومعروف، وليس بحاجة إلى تعريف، فهل نال العدا من الرضا، مثلما نلنا من الهجران؟!، فكيف يتم ذلك؟!! ونحن الأوفياء، ونحن المخلصون على الرغم من هذا النأي، فليس لأحد أن يملأ هذا الفراغ الحاصل في قلبي سواكم.

مـا حقّنا أن تُقِرّوا عينَ ذي حَسَدٍ بِنـا، ولا أن تَسُرّوا كاشِحا فِينَا

كُنّـا نرَى اليَأسَ تُسْلِينا عَوَارِضُه وَقَدْ يَئِسْنَا فَمَا لليأسِ يُغْرِينَا

ولايزال شاعرنا يعيش تحت تأثير العتاب العفيف، الخفيف، فأنى لشاعر مثل ابن زيدون أن يكون قاسيًا على محبوبه، فعلى الرغم من الصد ومن الهجران.. فلم يشعر يومًا بأنه ارتكب جرمًا يستحق كل هذا العذاب، وهذا النأي، فَيُقَرَّبُ الحسود وتقر عينه، ويسر الشانئ المبغض، ويشمت بهما!! وقد وصل به الأمر حدا صار اليأس سلواه التي يسري به عن نفسه، حتى استحكم اليأس من قلبه.

بِنْتُمْ وبِنّا فما ابتلّتْ جوانحُنا * شوقاً إليكمْ ولا جفّتْ مآقينا**

وهنا يفصح الشاعر عما يكنه من وفاء، وإخلاص لولادة ويبثها آلآمه ولوعته فقد ابتعدتم عنا وابتعدنا عنكم، ونتيجة هذا البعد فقد جفت ضلوعنا وما تحوى من قلب وغيره، واحترقت قلوبنا بنار البعد في الوقت الذي ظلت فيه (مآقينا: جمع مؤق وهو مجرى العين من الدمع، وجانبها من جهة الأنف) عيوننا تذرف الدمع من تواصل البكاء لأنه مشتاق محروم فلا أقل من أن يخفف همه بالبكاء ويسلي نفسه بالدموع.

نَكادُ حينَ تُناجيكمْ ضمائرُنا يَقْضي علينا الأسى لولا تأسّينا

ويستمر الشاعر في وصف الصورة الحزينة القاتمة فيقول: يكاد الشوق إليكم يودي بحياتنا لولا التصبر والتسلي، والأمل في اللقاء، حينما تعود به الذكرى على الأيام الخوالي، فيتصور الجمال والفتنة والحب والبهجة والأمل والسعادة، ويهتف ضميره باسمها، ويناجيها على البعد، لأنها قرينة روحه، وصنو نفسه، حينما يعيش أبعاد التجربة العذبة المؤلمة، ويوازن بين ما كان عليه وما صار إليه تقرب روحه أن تفارق جسده بسبب الحزن المفرط الذي يملأ جوانحه، لولا أنه يمني نفسه بالأمل، ويعزي روحه عن المحنة بالتصبر.

حالتْ لفقدِكمُ أيامُنا فغدتْ سوداً وكانت بكم بيضاً لياليناِ

وإمعانا في تجسيد معاناة الشاعر يقول: لقد تبدلت الحياة الوادعة الهانئة الجميلة، وأظلمت الدنيا المشرقة الباسمة المضيئة، فجللها السواد وعمها الظلام ببعد ولادة.

إذْ جانبُ العيشِ طَلْقٌ من تألّفنا**** **ومربعُ اللّهوِ صافٍ منْ تصافينا**

ويبدو الترابط بين الأبيات واضحًا، وما ذاك إلا لأن بعضها قد ترتب على بعض، وصار بعضها يكمل بعضها الآخر ويترتب عليه في المعنى، ففي هذا البيت يتذكر أيامه الهانئة مع محبوبته حيث كانت الحياة صافية متفتحة، وحيث كانا يجنيان ثمار الحب ما يشاءان، ومتى يشاءان، فهو يقول أن عيشنا الماضي كان طلقًا (مشرقًا) من شدة الألفة بيننا، وقوة الترابط، حيث اللهو، والسمر فيما بينهما، لا يعكر هذه الأجواء الوادعة حزن، ولا هم، ولا شقاق، ولا خلاف، ولهذا فهو صاف مثل المورد العذب الجميل، من شدة التتصافي، وخلو المودة مما يكدرها.

وَإذْ هَصَرْنَا فُنُونَ الوَصْلِ دانية قِطَافُها، فَجَنَيْنَا مِنْهُ ما شِينَا

واستكمالا للوحة الذكريات الجميلة الفاتنة، يستحضر الشاعر تلك المشاهد الرائعة التي عاشها مع ولادة: فقد كنا نستميل أصناف الوداد، والحب، والوصال المتنوعة، فنقطف منها ما نشاء.

الصور البيانية: ولعل هذا البيت قد اشتمل على صورة من أجمل صور الوداد حين شبه لنا الشاعر أصناف الوصل، والحب، والوداد بالأعناب الدانية القطاف، أو الثمار الدانية القطاف والتي في متناول اليد، والتي يتناول منها المرء ما يشاء، ومتى شاء، ولا إخالها إلا صورة جميلة مستوحاة من جمال الطبيعة الأندلسية الفاتنة

ليُسقَ عهدُكم عهدُ السرورِ فما كنتمْ لأرواحِنا إلاّ ريحانا

ويحلق الشاعر في عالم من الخيال، ويطوف به طائف من الذكرى الحلوة، فيدعو لعهد الوفاء بينهما بالحياة، والتجدد، والنماء؛ لأنه عاش فيه وصفت روحه به، وتلقى من محبوبته مشاعل الأمل وحب الحياة، وهو دعاء يكشف عن الحنين إلى العهد الماضي، وعن جمال الذكرى، وإذا كان الفراق يغير المحبين، ويجعلهم ينسون حبات قلوبهم فلن يستطيع أن ينسى الشاعر هواه، بل يزيده البعد وفاء وإخلاصا، فما زالت أمانيه متعلقة بولادة وهواه مقصورا عليها فقد كانت الرياحين لروحه وما زالت كذلك.

لا تَحْسَبُوا نَأيَكُمْ عَنّا يغيّرُنا* أنْ طالَما غَيّرَ النّأيُ المُحِبّينَا!**

وفي محاولة من الشاعر لاسترضاء محبوبته، واستدرار عطفها، يرسم لنفسه صورة مثالية، ووضيئة، فهو من طينة ليست كطينة باقي المحبين، الذين يغيرهم البعد، فعلى الرغم مما حصل بينهما إلا أنه ما يزال نحافظًا على حبال الود، والوصل.

واللهِ ما طلبت أرواحُنا بدلاً منكمْ ولا انصرفتْ عنكمْ أمانينا

وزيادة في حب الوصال، راح الشاعر يرسل رسائل الطمأنة لمحبوبته، فهو يقسم لها بالله بأن قلبه لن يتعلق بغيرها ولم تتحول أمانيه عن حبها، ولقد كان اختيار الشاعر

لكلمة (أرواحنا) موفقا إلى حد كبير، حيث ذكرت إحدى الروايات كلمة (أهواؤنا) بدل (أرواحنا)، على ما بينهما من فوارق بين الأرواح، والأهواء.

يا سارِيَ البَرْقِ غادِ القصرَ وَاسقِ به *** مَن كانَ صِرْف الهَوى وَالوُدَّ يَسقينَا

وَيَا نسيمَ الصَّبَا بلّغْ تحيّتَنَا*** مَنْ لَوْ على البُعْدِ حَيّا كان يحيِينا

ولا شك أن الشاعر هنا يريد أن يشرك عناصر البيئة، أو الطبيعة في الوساطة بينه وبين ولادة من جهة، ومن جهة أخرى حيث راح يستعين بها لتحمل معه ثقيل أعبائه، فلعلها تقف بجانبه، وتخفف عنه من آلامه في وحدته، وغربته التي يعاني منها، والوقوف بجانبه، وفي مظهر حقيقي من مظاهر الود، والوفاء، والإخلاص راح الشاعر يستسقي المطر في ترفق ورجاء، ويطلب منه أن يبكر في إرواء قصر محبوبته بماء المطر العذب الصافي، لأنها كثيرا ما سقته الهوى خالصا نقيا من الخداع والزيف، ولا يكتفي الشاعر بالمطر.. بل راح يقصد نسيم الصبا لينقل تحياته إلى محبوبته التي لو ردت عليه التحية فإنها ستمنحه الحياة، وتبعث فيه الأمل.

وَاسألْ هُنالِكَ:هَلْ عَنّى تَذكُّرُنا*** إلفاً ، تذكُّرُهُ أمسَى يعنّينَا

واستكمالاً لمشهد الشوق والحنين، يحمل الشاعر مظاهر الطبيعة (نسيم الصبا) أمانة السؤال، والتقصي داخل القصر، أن كان بعده عنهم قد ترك أي أثر على محبوبته أم لا؟! ثم يبادر معبرًا عن مكنون صدره، وعن مرهف مشاعره، ورقيق إحساسه..الذي راح تذكره لها يسبب له الأرق، والمعاناة، والألم. ولعل اتكاء الشاعر على الاستعانة بمظاهر الطبيعة يوحي بانعدام، أو عدم جدوى المساطات بينه وبينها، مما اضطره للجوء لوساطات أخرى، يفرغ من خلالها شحنات عواطفه الجياشة، لعلها تهدئ من روعه، وتسكن من لظى حبه.

قصيدة بانت سعاد للصحابي كعب بن زهير رضي الله عنه

١. بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ[٩٣]

٢. وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ[٩٤]

٣. هَيفاءُ مُقبِلَةً عَجزاءُ مُدبِرَةً لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ[٩٥]

٤. تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلَمٍ إِذا اِبتَسَمَت كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ[٩٦]

٥. شُجَّت بِذي شَبَمٍ مِن ماءِ مَحنِيَةٍ صافٍ بِأَبطَحَ أَضحى وَهُوَ مَشمولُ[٩٧]

٦. تَنفي الرِياحُ القَذى عَنهُ وَأَفرَطَهُ مِن صَوبِ سارِيَةٍ بيضٍ يَعاليلُ[٩٨]

٧. أكرم بها خُلَّةً لَو أَنَّها صَدَقَت موعودَها أَو لَو أَنَّ النُصحَ مَقبولُ[٩٩]

٨. لَكِنَّها خُلَّةٌ قَد سيطَ مِن دَمِها فَجعٌ وَوَلعٌ وَإِخلافٌ وَتَبديلُ[١٠٠]

٩. فَما تَدومُ عَلى حالٍ تَكونُ بِها كَما تَلَوَّنُ في أَثوابِها الغولُ

١٠. وَما تَمَسَّكُ بِالوَصلِ الَّذي زَعَمَت إِلّا كَما تُمسِكُ الماءَ الغَرابيلُ[١٠١]

١١. فَلا يَغُرَّنَكَ ما مَنَّت وَما وَعَدَت إِنَّ الأَمانِيَ وَالأَحلامَ تَضليلُ

١٢. كَانَت مَواعيدُ عُرقوبٍ لَها مَثَلاً وَما مَواعيدُها إِلّا الأَباطيلُ

١٣. أَرجو وَآمُلُ أن تدنو مودتها وَما أخال لدينا منك تنويل[١٠٢]

١٤. أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ[١٠٣]

بان: فارق ، متبول: يُقال تبلهم الدهر أي أفناهم ، وتبلهم الحب أي أسقمهم وأضناهم. متيّم: يُقال تيّمه الحب أي استعبده وأذله. يُفد: مضارع للفعل فدى الأسير. مكبول: مأسور و مقيّد.[٩٣]

[٩٤]أغنّ: في صوته غنة. غضيض الطرف: غض الطرف أصله ترك التحديق قال تعالى " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم".

[٩٥]هيفاء: ضامرة البطن دقيقة الخصر. عجزاء: كبيرة العجيزة (المؤخرة)

[٩٦]تجلو: تكشف عن. العوارض: الأسنان أو الضواحك منها. ظَلَم: ماء الأسنان وبريقها أو رقتها وشدة بياضها. مُنهل: إسم مفعول من نَهَل أي الشرب أولاً. الراح: الخمر. معلول: اسم مفعول من عَلَل أي الشرب ثانياً.

[٩٧]، شبم: شديد البرودة. محنية: منعطف الوادي. أبطح: المسيل الواسع الذي فيه دقاعق الحصى. أضحى: أخذ في الضحى. مشمول: ضربته ريح الشمال. شجت: كُسرت حدتها (خففت)

[٩٨]تنفي: تطرد. سارية: هي السحابة تأتي في الليل ، وهي عكس غادية. بيض يعاليل: هي السحاب ، ويقال جبال عالية ينحدر منها الماء

[٩٩]ويُروى ياويحها خلة ، خُلَّة: بمعنى خلية أو صديقة،

[١٠٠]سيط: المبني للمجهول من ساط بمعنى خلط. الوَلْع: الكذب.

[١٠١] وجاء (ولا تمسك بالعهد الذي زعمت) الغرابيل: جمع غربال

[١٠٢]ويُروى البيت هكذا: أرجو وآمل أن يعجلن في أبد * ومالهن طوال الدهر تعجيل

[١٠٣]النجيبات: ج. نجيبة ، أي الكيمة من الخيل، ويُروى النجيَّات: أي السريعات. والعتيق من الإبل والخيل وغيرهما: ارائع ، الأصيل ، الكريم. المراسيل: ج. مرسال ، أي ناقة سريعة

١٥. وَلَن يُبَلِّغها إلا عُذافِرة لهاعَلى الأَينِ إرقالٌ وَتَبغيلُ[١٠٤]

١٦. مِن كُلِّ نَضّاخَةِ الذِفرى إذا عَرِقَت عُرضَتُها طامِسُ الأَعلامِ مَجهولُ[١٠٥]

١٧. تَرمي الغُيوبَ بِعَينَي مُفرَدٍ لَهَقٍ إذا تَوَقَدَتِ الحُزّانُ وَالميلُ[١٠٦]

١٨. ضَخمٌ مُقَلَّدُها فَعَمٌ مُقَيَّدُها في خَلقِهاعَن بَناتِ الفَحلِ تَفضيلُ

١٩. حَرفٌ أَخوها أَبوها مِن مُهَجَّنَةٍ وَعَمُّها خَالُها قَوداءُ شِمليلُ

٢٠. يَمشي القُرادُ عَلَيها ثُمَّ يُزلِقُهُ مِنها لَبانٌ وَأَقرابٌ زَهاليلُ

٢١. عَيرانَةٌ قُذِفَت في اللَحمِ عَن عُرُضٍ مِرفَقُها عَن بَناتِ الزورِ مَفتولُ

٢٢. كَأَنَّ ما فاتَ عَينَيها وَمَذبَحَها مِن خَطمِها وَمِن اللَحيَينِ بَرطيلُ

٢٣. تَمُرُّ مِثلَ عَسيبِ النَخلِ ذا خُصَلٍ في غارِزٍ لَم تَخَوَّنهُ الأَحاليلُ

٢٤. قَنواءُ في حُرَّتَيها لِلبَصيرِ بِها عِتقٌ مُبينٌ وَفي الخَدَّينِ تَسهيلُ

٢٥. تَخدي عَلى يَسَراتٍ وَهيَ لاحِقَةٌ ذَوابِلٌ وَقعُهُنَّ الأَرضَ تَحليلُ

٢٦. سُمرُ العُجاياتِ يَتْرُكنَ الحَصى زِيَماً لَم يَقِهِنَّ رُؤوسَ الأُكُمِ تَنعيلُ

٢٧. يَوماً يَظَلُّ بِهِ الحَرباءُ مُصطَخِماً كَأَنَّ ضاحِيَهُ بِالنارِ مَملولُ

٢٨. كَأَنَّ أَوبَ ذِراعَيها وَقَد عَرِقَت وَقَد تَلَفَّعَ بِالقورِ العَساقيلُ

٢٩. وَقالَ لِلقَومِ حادِيهِم وَقَد جَعَلَت وُرقُ الجَنادِبِ يَركُضنَ الحَصى قيلوا

٣٠. شَدَّ النهارُ ذِراعاً عَيطلٍ نَصَفٍ قامَت فَجاوَبَها نُكدٌ مَثاكيلُ

٣١. نَوّاحَةٌ رَخوَةُ الضَبعَين لَيسَ لَها لَمّا نَعى بِكرَها الناعونَ مَعقولُ

٣٢. تَفري اللِبانَ بِكَفَّيها وَمِدرَعِها مُشَقَّقٌ عَن تَراقيها رَعابيلُ

٣٣. يَسعى الوُشاةُ بِجَنبَيها وَقَولُهُم إِنَّكَ يَا بنَ أَبي سُلمى لَمَقتولُ

٣٤. وَقالَ كُلُّ خَليلٍ كُنتُ آمُلُهُ لا أُلفِيَنَّكَ إِنّي عَنكَ مَشغولُ

---

[١٠٤] عُذافِرة: الناقة الصلبة العظيمة. الأين: الإعياء والتعب. إرقال: نوع من الخَبَب أي سرعة السير. التبغيل: نوع آخر من المشي مشبه مشي البغال لشدته.

[١٠٥] نضّاخة: شديدة النضح. الذفرى: النقرة أو الحفرة خلف أذن الدابة. عرضتها: همتها أو هدفها. طامس: ممحي

[١٠٦] الغيوب: ج. غائب أو غيب. مفرد: صفة شائعة للثور الحشي المنفرد عن سربه. لهق: أبيض. الحزاز: ج. حزيز، الأماكن الغليظة الصلبة. الميل: ج. ميلاء، العقدة الضخمة من الرمل

٣٥. فَقُلتُ خَلّوا طَريقي لا أَبا لَكُمُ فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَحمَنُ مَفعولُ

٣٦. كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ يَوماً عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ

٣٧. أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ

٣٨. مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ القُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

٣٩. لا تَأَخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم أُذنِب وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ

٤٠. لَقَد أَقومُ مَقاماً لَو يَقومُ بِهِ أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيلُ

٤١. لَظَلَّ يُرعَدُ إِلّا أَن يَكونَ لَهُ مِنَ الرَسولِ بِإِذنِ اللَهِ تَنويلُ

٤٢. مازِلتُ أَقتَطِعُ البَيداءَ مُدَّرِعاً جُنحَ الظَلامِ وَثَوبُ اللَيلِ مَسبولُ

٤٣. حَتّى وَضَعتُ يَميني لا أُنازِعُهُ في كَفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ

٤٤. لَذاكَ أَهيَبُ عِندي إِذ أُكَلِّمُهُ وَقيلَ إِنَّكَ مَسبورٌ وَمَسؤولُ

٤٥. مِن ضَيغَمٍ مِن ضِراءَ الأُسدِ مُخدِرَةً بِبَطنِ عَثَّرَ غيلٌ دونَهُ غيلُ

٤٦. يَغدو فَيَلحَمُ ضِرغامَين عَيشُهُما لَحمٌ مِنَ القَومِ مَعفورٌ خَراذيلُ

٤٧. إِذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلُّ لَهُ أَن يَترُكَ القِرنَ إِلّا وَهُوَ مَفلولُ

٤٨. مِنهُ تَظَلُّ حَميرُ الوَحشِ ضامِرَةً وَلا تُمَشّي بِواديهِ الأَراجيلُ

٤٩. وَلا يَزالُ بِواديهِ أَخو ثِقَةٍ مُطَرَّحُ البَزِّ وَالدَرسانِ مَأكولُ

٥٠. إِنَّ الرَسولَ لَسَيفٌ يُستَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللَهِ مَسلولُ

٥١. في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم بِبَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسلَموا زولوا

٥٢. زَالوا فَمازالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُفٌ عِندَ اللِقاءِ وَلا ميلٌ مَعازيلُ

٥٣. شُمُّ العَرانينِ أَبطالٌ لَبوسُهُمُ مِن نَسجِ داوُدَ في الهَيجا سَرابيلُ

٥٤. بيضٌ سَوابِغُ قَد شُكَّت لَها حَلَقٌ كَأَنَّها حَلَقُ القَفعاءِ مَجدولُ

٥٥. يَمشون مَشيَ الجِمالِ الزُهرِ يَعصِمُهُم ضَربٌ إِذا عَرَّدَ السودُ التَنابيلُ

٥٦. لا يَفرَحونَ إِذا نالَت رِماحُهُمُ قَوماً وَلَيسوا مَجازيعاً إِذا نيلوا

٥٧. لا يَقَعُ الطَعنُ إِلّا في نُحورِهِمُ ما إِن لَهُم عَن حِياضِ المَوتِ تَهليلُ

نظرات نقدية:

أولاً: اللغة:

الشاعر الجيد هو الذي يستطيع أن يتجاوز من خلال ألفاظه، وتراكيبه الإيحائية، وغير المباشرة.. قصور اللغة، وجمودها في تراكيبها العادية، والمعجمية، وذلك من خلال استغلال الطاقات الكامنة فيها، وأن يشحن لغته بالصور، والموسيقى، حيث أن دور اللغة لا يقتصر على كونها وسيلة من وسائل التعبير فقط، بل إنها تحتوي على خاصية جمالية فريدة، وقدرة فائقة في إثارة أحاسيس، ومشاعر القراء، ونقلهم إلى أجواء وعوالم نفسية جديدة.. وذلك فيما يعرف بالموسيقى الناتجة عن تآلف، وتآزر الألفاظ، والتراكيب ومن خلال قدرة الشاعر وتمكنه من تقنيات التقديم، والتأخير، والذكر، والحذف، وتوظيف الأساليب المختلفة من استفهام، وتعجب، وتمنٍ، وأمر...وغير ذلك من الأساليب التي يخرجها الشاعر عن حالتها الحقيقية المباشرة، إلى معان أخرى مجازية تزيد اللغة تألقًا، وإشعاعًا، وإيحائية، وقد وقفنا على جانب كبير من خلال تلك الصور البيانية، والأساليب المختلفة التي سلَّطنا عليها بعض الضوء في هذه الدراسة.

ثانيًا: الألفاظ

تعتبر الألفاظ المقوم الأساس الذي يقوم عليه الشعر قديمًا وحديثًا، فإن كانت المعاني هي روح الشعر، وموضوعه، فإن الألفاظ بمثابة الجسد للروح، وكما يقول الجاحظ فإن المعاني مطروحة في الطريق، فالموضوع لم يكن في يوم من الأيام هو الشعرية، إنما كيف تنتج الموضوع؟ وكيف تقول ما تقول؟ (أي بالألفاظ) فهذا هو الشعر، لذا فإن أهم عنصر في العمل هو القدرة على التشكيل.. أي صب المادة الخام (المعاني) في قالب (الشكل، أو اللفظ)، وذلك ما يعنيه الجاحظ بقوله: "إن المعاني مطروحة في الطريق"، ولكن المهم الصياغة الفنية، من خلال التشكيل اللفظي لتلك المعاني.

بالنظر إلى ألفاظ الشاعر في هذه القصيدة، نرى أنها تتسم بالرقة، والعذوبة، والوضوح، ولعل الموضوع الذي عالجه الشاعر (الغزل) يقتضي مثل هذه الألفاظ الشاعرية، التي يذوب الشاعر من خلالها في محبوبه، الشيء، الذي لا يعطي له مساحة كبيرة من الخيارات اللغوية، أو ليس عنده الوقت الكافي الذي يسمح له بانتقاء ألفاظه، بحيث تبدو غليظة، جافة، أو تحتاج لمعرفتها إلى اللجوء إلى المعاجم، والقواميس، ولهذا وجدنا الألفاظ قد فُصِّلت على قد المعاني دون كد للعقل، أو إجهاد للفكر.

ومن هذه الألفاظ: التنائي، والتداني، لقيانا، تجافينا وهي ألفاظ تتطابق وتتناسب مع موضوع الغزل الذي لا يخلو من نأي أحيانا، وتقارب أحيانا أخرى، لقاءات السحر والجمال تارة، ثم قد يتبعها الجفاء..وهكذا هي حال المحبين، والعشاق.

ثالثًا: العاطفة:

هذا ولا يمكن لدارس الأدب أن يغفل هذا العنصر أثناء تحليله لأي نص أدبي؛ شعرًا كان أم نثرًا، لما لهذا العنصر من سحر يلامس شغاف قلب القارئ، ويمسه مسه شفيفًا، لطيفًا، يستطيع من خلاله أن يكتشف مدى تأثر الشاعر بحقيقة تجربته قوة، وضعفًا، وبالتالي.. فإن الأعمال العظيمة الذي ندين لها بالفضل، هي التي تقول ما كنت تود قوله، وهي التي تجعلنا نرى أشياء لم نرها من قبل أبدًا، أو رأيناه بعين مضطربة عاشية، ولن يتم ذلك إلا من خلال العاطفة الصادقة، والتي هي عبارة عن تضافر، وتفاعل مجموعة من مقومات النص التي لا يمكن لنا أن نفصل بعضها عن بعضها الآخر، ومنها: اللغة بألفاظها، وتراكيبها، وأساليبها، وصورها، وما ينتج عن ذلك كله من صور وخيال، والتي يستطيع الشاعر من خلالها أن يشرك القارئ في تجربته الخاصة، وأن يتفاعل معها وكأنه يعيش التجربة ذاتها، فإن استطاع الشاعر أن يصل بالقارئ إلى هذا المستوى من التأثير، والتأثر فقد نجح في تقديم

نفسه وتقديم تجربته للآخرين، لأنه في هذه الحال يقدم تجربة إنسانية عامة، ولكن انطلاقًا من تجربته الخاصة.

رابعًا: الأساليب:

لاشك أن البيان، والتعبير يأخذ أشكالا كثيرة، ومتعددة، فقد يمكن أن يعبر الإنسان من خلال الإشارة، أو الإيماءة، أو الحركة، أو الكلمة، أو الصورة، أو التمثال (النحت) وغير ذلك من صور التعبير، فقد يظهر الرسام عواطفه من خلال اللوحة، وقد يظهر النحات عواطفه من خلال نحته، أما الأديب، الفنان فهو رسام يرسم بالكلمات، والكلمة هي المداد الذي يجسد من خلاله مشاعره، وأحاسيسه، و وجداناته، وعواطفه، واللغة هي مجموع المفردات، والتراكيب .. وينبغي أن تكون لغة الأدب مأنوسة أليفة، على علوها وشرفها بأن تكون لغته وسطاً بين لغة المتقعرين من الخاصة، ولغة العامة الركيكة. يقول أبو هلال العسكري " وأما المختار من الكلام فهو الذي تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله في محاوراتها"، "فخَيْر الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك" ولا يكون الكلام كذلك حتى يكون الأديب على قدر كبير من التمكن من أساليب العرب، من خبر، وإنشاء، وتقديم وتأخير، وذكر وحذف، وفصل ووصل..فإن تشر الأديب جميع هذه الفنون خرج كلامه مطبوعًا، بلا تكلف، وبلا عناء، ينساب من قلمه انسياب الماء من في السقاء، فمن فرط ثقته بنفسه، وامتلاكه لنواصي الكلام الجيد، لم يعد بحاجة للتعقيد، أو الإبهام، والتعمية، والأسلوب مفتاح شخصية الكاتب، ويدل مدى انسجامه مع ذاته، ومع بيئته، يقول الناقد الفرنسي (بوفون): الأسلوب الرجل، فالكاتب الموهوب هو الذى يملك الأسلوب المختلف، المتميز، هو الذى يمكنك أن تتعرف عليه من خلال مقالته أو قصته أو قصيدته، هو الذى يشعرك كلما قرأت له أن هناك كيانًا مستقلا يحاورك، فهو ذو طابع خاص، ونكهة، وبصمة مميزة.

خامسًا: الصور البيانية:

أما عن الصور البيانية فهي كثيرة ومبثوثة في أرجاء النص ما بين استعارات، وكنايات، وتشبيهات، ومجازات..وقد نوع الشاعر في ذلك كله تنويعًا كبيرًا، مستخدمًا أجمل ما في البيئة الأندلسية من عناصر، وقد ذكرنا بعضها أثناء تعليقنا المباشر على الأبيات، ويستطيع الطالب أن يستكشف هذا عالم الجمال، والبهاء بمفرده، وببساطة.

سادسًا: الوحدة الموضوعية:

لم يكن بدعا على نونية ابن زيدون أنها تقتفي أثر الشعر العربي الأصيل، ويكفي أن نشير هنا إلى كثرة ما هاجر من كتب إلى الأندلس، فيها من الدواوين عدد جم وبخاصة دواوين الجاهليين والأمويين والمجموعات الشعرية الهامة كالمفضليات وشعر الهذليين والنقائض..، ولهذا نجد ابن زيدون لم يكن له أن يخرج عما سار عليه الأولون من الشعراء، والذين كان شعرهم عبارة عن بستان جميل فيه أصناف من الأزاهير المتنوعة، والمختلفة، ولا ضير في ذلك أن يتميز الشعر الغنائي العربي بهذه الميزة، لأنها طبيعة هذا النوع من الشعر الذي لم يكن له ليتميز بهذه الخصيصة لولا أنه غنائي، لأنه بوح الوجدان، والمشاعر والأحاسيس، ولهذا نجد الشاعر يتنقل من فكرة إلى فكرة حسب الدفق العاطفي الذي يسيطر عليه لحظة انفعاله، ويأتي تبعًا لذلك ألا يشمل القصيدة الغنائية وحدة عضوية متكاملة، بالمفهوم المتعارف عليه في النقد الغربي، ولكننا في الوقت نفسه نستطيع أن نلمس وحدة نفسية شفيفة تغطي النص الغنائي كله، ويجدر القول هنا أن هذا النوع من الوحدة (العضوية) يجب توفرها في الشعر المسرحي، والقصصي، لأن طبيعته تقتضي التسلسل، والترتيب.[١٠٧]

[١٠٧] منقول من شبكة الإنترنت العنكبوتية.

من النثر الجاهلي

خطبة قس بن ساعدة الشهيرة في سوق عكاظ

" أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَعُوا، وإذا وعيتم فانتفعوا، إنَّهُ مَنْ عَاشَ مَات، وَمَنْ مَاتَ فَات، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ، مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات جمع وأشتات وآيات وأرض ذات رتاج ،وبحار ذات أمواج، لَيْلٌ دَاج، وَنَهَارٌ سَاْج، وَسَماءٌ ذَاتُ أبْرَاجٍ، وَنُجُومٌ تَزْهَر، وَبِحَارٌ تَزْخَر ...، إنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبَرا، وإنَّ فِي الأرضِ لَعِبَرا، مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهبُونَ وَلاَ يَرْجِعُون؟! أرَضُوا بِالمُقَامِ فَأَقَامُوا، أمْ تُرِكُوا هُنَاك فَنَامُوا ؟ يَا مَعْشَرَ إيَاد : أيْنَ الآبَاءُ والأجْدَادُ ؟ وأيْنَ الفَرَاعِنَةُ الشِّدَادُ ؟ أَلَمْ يَكُوْنُوا أكْثَرَ مِنْكُم مَالاً وأطولَ آجالاً؟، طَحَنَهُم الدهْرُ بِكَلْكَلِهِ، ومزَّقَهم بتطاوُلِه أقسم قس قسماً لا حانث فيه ولا آثماً إن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه ونبياً قد حان حينه وأظلكم أوانه فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه ثم قال تباً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية يا معشر إياد أين الآباء والأجداد وأين ثمود وعاد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد أين من بغى وطغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الأعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً وأطول منكم آجالاً وأبعد منكم آمالاً طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس والد ولا مولود".

ثم أنشأ يقول:

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائر

التعريف بالخطيب :

هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدى بن مالك، ينتهي نسبه إلى إياد بنجران، خطيب العرب وشاعرها وحليمها وحكيمها في الجاهلية؛ فقد كان خطيب العرب قاطبة، وإذا كان الخطباء كثيرين، والشعراء أكثر، فإنّ مَن يجمع الشعر والخطابة قليل، وكان مضرب أمثال العرب في البلاغة إذا ما عبروا عن خطيب أو شاعر بليغ، فيقولون: أبلغ من قس، وقيل: إنه أول من علا شرفا وخطب عليها، وأول من قال في كلامه: أما بعد، وأول من اتّكأ عند خطبته على سيف أو عصا، وهو أسقف نجران نحو سنة ٦٠٠ ق.م، وقد أدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ورآه في عكاظ، وكان يحفظ عنه بعض ما سمعه، وهو من الخطباء المشهود لهم برجاحة العقل وسداد الرأي، وضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة فصاحة اللسان وقوة البيان، كان مطلعا على الأديان السماوية من يهودية و مسيحية، اهتدى بفطرته الثاقبة وعقله الذكي إلى وجود الله ووحدانيته، وعظيم قدرته، حكيم متأمل في الوجود محب لقومه، ناصح أمين لهم،كان زاهداً في الدنيا وخصوصاً بعد أن مات له أخوان ودفنهما بيده، وكان قس يحضر سوق عُكاظ ويسير بين الناس ينذرهم، ولقد ضرب به المثل في الخطابة و البلاغة و الحكمة فيقال إنه أول من كتب "من فلان إلى فلان "، وأول من أقرّ بالبعث من غير علم، وأول من قال" أما بعد"، وأول من قال" البينة على مَن ادَّعَى واليمين على من أنكر"، وأول من توكّأ على عصا.

وتُنسب إلى قس بن ساعدة حِكَم كثيرة، منها:" إذا خاصمتَ فاعدل، وإذا قلتَ فاصدق، ولا تستودعنَّ سرك أحداً، فإنك إن فعلتَ لم تزل وجِلاً"، و" مَن عيَّرك شيئا ففيه مثله، ومَن ظلمك وجد مَن يظلمه، وإذا نهيتَ عن الشيء فابدأ بنفسك، ولا تشاور مشغولاً وإن كان حازماً، ولا جائعاً وإن كان فهِماً، ولا مذعوراً وإن كان ناصحاً".

ويقال إنه قد عاش مائة وثمانين سنة، وقد توفي قبل بعثة النبي بحوالي عشر سنوات.

جو النص :

كان قس بن ساعدة ينكر المنكر الذي شاع في الجاهلية، والغفلات التي كانت تسيطر على الناس فتنسيهم الموت والبعث والجزاء، وكان قس وكثير من العقلاء يتوقعون أن يُبْعث نبي يغير ما شاع في الجاهلية من معتقدات فاسدة و منكرات موبقة (مهلكة)، وهذه خطبة له قالها في سوق عُكاظ قبل ظهور الإسلام فيها تأملاته في الحياة والكون بحثاً عن وجود الخالق يقدم فيها نصحه مخلصاً.

اللغويات :

الخُطبة: نوع من الكلام البليغ يلقيه رجل عظيم نابه الشأن في جمع من الناس، وأهم ما تقتضيه، الإقناع والإمتاع، ج خُطب. اسْمَعُوا : أنصتوا، وَعُوا : افهموا واحفظوا ، مادتها (وعي).

فَات: مرّ وانتهى ومضى. آتٍ: قادم، وهي من الأضداد فستخدم بمعنى راحل أيضا.

الشرح :

يدعو قس الحاضرين إلى الانتباه لما سيقوله وتدبُّر معانيه جيداً قائلاً لهم : أيُّها الناس إن لكل إنسان نهاية مهما طالت حياته ، فالموت مصير كل كائن حي ، ومن مات فقد انتهى أمره ، ومن لم يمت اليوم فسيموت غداً فلا مهرب من الموت..

التذوق :

(أَيُّهَا النَّاسُ) : أسلوب إنشائي/ نداء ، غرضه : التنبيه وجذب الاهتمام، وقد حذفت أداة النداء للدلالة على قربهم من نفسه .

(اسْمَعُوا وَعُوا) : أسلوب إنشائي / أمر ، غرضه : النصح والإرشاد .

ما رأيك في ترتيب الفعلين (اسمعوا وعوا) ؟

ترتيب دقيق ؛ لأن الإنسان يسمع أولاً ثم يفكر ويتأمل بعد ذلك ، فالثاني مترتب على الأول (إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مَات) : أسلوب خبري غرضه : التقرير ومؤكد بـ (إن) فلكل أجل كتاب .

(عَاشَ– مَات) : محسن بديعي / طباق يبرز المعنى ويوضحه بالتضاد.

(وَمَنْ مَاتَ فَات– وَكُلٌّ مَا هُوَ آتٍ آت): حكمتان صادقتان تؤكدان على أن الموت لا فرار منه. (مَاتَ– فَات): محسن بديعي / جناس ناقص يعطي تناغماً موسيقياً جميلاً .

(اسْمَعُوا وَعُوا– مَاتَ– فَات– آتٍ) : محسن بديعي / سجع، وهو سجع جميل غير متكلف.

الجناس: اتفاق أو تشابه كلمتين في اللفظ الأخير واختلافهما في المعنى، نحو: " صليت المغرب في أحد مساجد المغرب، ويقيني بالله يقيني، أي: ثقتي بربي تحميني، ويكون الجناس تامًا إذا اتفقت الكلمتان في نوع الحروف وعددها وترتيبها وضبطها كما في المثالين السابقين، فإن اختل أحد هذه الشروط أصبح الجناس ناقصًا، نحو: من بحر شعرك أغترف، وبفضل علمك أعترف، وسر جمال الجناس: أنه يحدث نغماً موسيقياً يثير النفس وتطرب إليه الأذن.

السجع : هو اتفاق جملتين أو أكثر في الحرف الأخير ويأتي في النثر فقط، نحو: الصوم حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع، وسر جمال السجع : أنه يحدث نغماً موسيقياً يثير النفس وتطرب إليه الأذن إذا جاء غير متكلف.

النص :

" لَيْلٌ دَاج ، وَنَهَارٌ سَاْج ، وَسَماءٌ ذَاتُ أبْرَاجٍ ، وَنُجُومٌ تَزْهَر ، وَبِحَارٌ تَزْخَر .. ، إنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبَرا ، وإنَّ فِي الأرضِ لَعِبَرا . مَا بَاْلُ النَّاسِ يَذْهبُونَ وَلاَ يَرْجِعُون ؟! أرَضُوا بِالمُقَامِ فَأَقَامُوا ، أمْ تُرِكُوا هُنَاك فَنَامُوا ؟! " .

اللغويات:

دَاج : مظلم، نَهَارٌ ج أَنْهُر ، نُهُر، سَاْج : يذهب و يجيء ، شامل، ذَاتُ : صاحبة ج ذوات، أبْرَاج : أقسام للسماء، تَزْهَر : تتلألأ، تَزْخَر : تمتلئ، لَعِبَرا : مواعظ م عِبْرة ، أما الـ " عَبْرة " بفتح العين فهي الدمعة، بَاْلُ: حال وأمر، أرَضُوا : أقنعوا وارتضوا، بِالمُقَامِ : بالإقامة.

الشرح :

يتأمل قس في الكون فيقول إن الحياة بما فيها من ليل مظلم يتعاقب مع نهار منير، وسماء أظلت الأرض بأبراج متعددة، ونجوم زاهرة، وبحار زاخرة بألوان الحياة كلها تدل وتنطق على أن لهذا الكون خالقاً مبدعاً عظيماً هو الله، ثم يتساءل متعجباً لماذا لا يعود الذين ماتوا إلى الحياة ؟!، أقنعوا وسعدوا بالمقام في القبور، أم أنهم صاروا في طي النسيان فظلوا نائمين إلى حين .

الدراسة الفنية:

أكثر الكاتب هنا من السجع في: (دَاج- سَاْج ، تَزْهَر- تَزْخَر ، لَخَبَرا- لَعِبَرا، يَذْهبُونَ- يَرْجِعُون، فَأَقَامُوا - فَنَامُوا) ؛ ليزيد من الموسيقى غير المتكلفة في النص.

(لَيْلٌ - نَهَارٌ) : محسن بديعي / طباق بالتضاد يبرهن على قدرة الخالق.

(داج - ساج) : جناس ناقص يعطي نغمة موسيقية.

(إنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبَرا، وإنَّ فِي الأرض لَعِبَرا): خبران كل منهما مؤكد بمؤكدين (إن - اللام) .

(مَا بَالُ النَّاسَ يَذْهبُونَ وَلاَ يَرْجِعُون ؟!) : أسلوب إنشائي / استفهام، غرضه: التعجب.

(أرَضُوا بِالمُقَامِ فَأَقَامُوا، أمْ تُرِكُوا هُنَاك؟): إنشاء / استفهام، غرضه: إظهار الحيرة والدهشة .

(السَّمَاءِ – الأرض) : محسن بديعي / طباق بالتضاد يبرهن على قدرة الخالق .

(تَزْهَر – تَزْخَر) : محسن بديعي / جناس ناقص يعطي نغمة موسيقية .

النص :

" يَا مَعْشَرَ إيَاد : أيْنَ الآبَاءُ والأجْدَادُ ؟ وأيْنَ الفَرَاعِنَةُ الشِّدَادُ ؟ أَلَمْ يَكُوْنُوا أكْثَرَ مِنْكُم مَالاً و أطولَ آجالاً .. ؟ طَحَنَهُم الدهْرُ بِكَلْكَلِهِ ، ومزَّقَهم بتطاوُلِه " .

اللغويات :

مَعْشَرَ : أهل، جماعة ج مَعَاشِر– إيَاد: قبيلة قس– الشِّدَاد: الأقوياء م الشديد – آجالاً: أعماراً م أجل – طَحَنَهُم : أهلكهم و أماتهم وقضى عليهم – الدهْرُ : الزمان الممتد ج دُهور ، أدهر– بِكَلْكَلِهِ : بصدره ج كلاكل – ومزَّقَهم : فرَّقهم × جمّعهم – بتطاوُلِه : بطوله وامتداده .

الشرح :

ثم يتجه بالنصيحة إلى قومه بني إياد قائلاً لهم : تأملوا في حياة السابقين أين هم الآن ؟ أين الآباء الذين عشنا في حماهم ، والأجداد الذين ورثناهم ،

وملوك مصر الأقوياء الذين رهبناهم كانوا أكثر منكم مالاً وأطول أعماراً كل هؤلاء قُضِيَ عليهم ضمَّهُم التراب بعد أن سحقهم الزمان وأهلكهم .

الدراسة الفنية:

(يَا مَعْشَرَ إيَاد): أسلوب إنشائي/ نداء ، غرضه : التنبيه.

(أيْنَ الآبَاءُ والأجْدَاد ؟ – وأيْنَ الفَرَاعِنَةُ الشِّدَاد ؟) : أسلوبان إنشائيان/ استفهام، غرضهما : شد الانتباه والتشويق لمعرفة الإجابة .

(أَلَمْ يَكُوْنُوا أكْثَرَ مِنْكُم مَالاً و أطولَ آجالاً .. ؟) : أسلوب إنشائي / استفهام ، غرضه: التقرير. (طَحَنَهُم الدهْرُ بِكَلْكَلِهِ) : استعارة مكنية ، فقد شبه الدهر في قوته وشدته بجمل ضخم يطحن وشبه الناس بالحبوب التي تطحن ، وهي صورة تبرز مدى ضعف الإنسان أمام قسوة الزمان .

(ومزَّقَهم بتطاوُلِه) : أيضاً استعارة مكنية ، تصور الدهر بممزق ومفرق للجماعات .

ولقد أكثر الكاتب هنا أيضاً من السجع في : (إيَاد – الآبَاءُ – الأجْدَاد – الشِّدَاد ... مَالاً – آجالاً ... بِكَلْكَلِهِ – بتطاوُلِه) .

وقد خلت الخُطبة من الصور الخيالية ؛ لأن الكاتب اعتمد على الأدلة المنطقية والمشاهدات المرئية التي لا تحتاج إلى خيال .

– أما الصورة الخيالية فهي : (طَحَنَهُم الدهْرُ بِكَلْكَلِهِ) : استعارة مكنية فقد شبه الدهر في قوته وشدته بجمل ضخم يطحن وشبه الناس بالحبوب التي تطحن ، وهي صورة تبرز مدى ضعف الإنسان أمام قسوة الزمان .

التعليق :

لقد ازدهرت الخطابة في العصر الجاهلي؛ لأسباب منها: فصاحة العرب كلهم، وحرية القول، ودواعي الخطابة كالحرب والصلح والمفاخرات بين العرب، ويعتمد فن الخطابة على دعامتين هما : الاستمالة و الإقناع ، ولكي يحقق الاستمالة عليه أن يثير عواطف المستمعين و يجذب انتباههم عن طريق تنويع الأساليب التي تناسب ميول السامعين ورغباتهم ومستوى تفكيرهم ، كما عليه بجودة الإلقاء و تحسين الصوت، أما الإقناع فإنه يقوم على مخاطبة العقل عن طريق ضرب الأمثلة ، وتقديم الأدلة والبراهين التي تقنع السامعين، وقد بينت الخطبة سمات قس بن ساعدة

الشخصية؛ فهو صاحب عقل مفكر، وحكيم وخبير بالحياة والبشر، فطرته نقية و عقيدته قوية، لسانه فصيح تطاوعه اللغة في عرض ما يريد .

عناصر الخطبة:

١ – المقدمة : وتمثلت في النص في مقدمة قصيرة للغاية هي:(أَيُّهَا النَّاسُ ، اسْمَعُوا وَعُوا).

٢ – الموضوع : وتمثل في الحديث عن الحياة و الموت ، و التأمل في الكون ، والتساؤل عن مصير الناس بعد الموت .

٣ – الخاتمة : وتمثلت في ضرورة أن يأخذ الآخرين العظة و العبرة من تاريخ البشر السابقين الذين ضمتهم القبور فيعلم كل إنسان أن الموت هو النهاية الحتمية له فلا يتكبر ولا يغتر بقوته .

السمات الأسلوبية لقس بن ساعدة:

تميز أسلوبه بالأفكار الواضحة ، و العبارة القصير المتوازنة و الألفاظ السهلة ، وقد نوَّع أسلوبه ما بين خبري و إنشائي ؛ لتقرير الحقائق و تأكيدها ولجذب انتباه المستمعين إليه ، وجاءت صوره البيانية قليلة ، ولقد أكثر من الموسيقى اللفظ النابعة من السجع و الجناس.

خطبة أبي طالب في زواجه صلى الله عليه و سلم بخديجة رضي الله عنها[١٠٨]

" الحمد لله الذي جعلنا من ذريّة إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلدًا حرامًا و بيتًا محجوجا، وجعلنا الحكّامَ على النّاس ، ثمّ إنّ محمّدَ بنّ عبدِ الله من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه برًّا وفضلا وكرما وعقلا وإن كان في المال قُلٌّ، فإنّ المال ظلٌّ زائلٌ، وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنتِ خويلدِ رغبة، ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فَعَلَيَّ ."

الدراسة:

موضوع الخطبة ظاهر فيه طلب النكاح من كريم إلى فاضلة، أمّا جوها فقد قيلت في خِطبة نكاح سيّد قومه، ومن وُصِف برجاحته برًّا وعقلا وفضلا وكرما، من سيّدةٍ فاضلةٍ من فضليات نساء قومها، فالموقف باسم، والجوّ مشرق.

العرض:

لقد جاءت حديث شكرٍ، واعترافا بفضل، واعتزازا بأصل، أجاد عرضها، وأحسن تقسيمها، ابتدأ مقدّمتها بحمد الله والثناء عليه مع بيان موجبات ذلك، متضمّنا عراقة الأصل و بعد المنزلة فقال: " الحمد لله الذي جعلنا من ذرّية إبراهيم وزرع إسماعيل"، وفي ذكر الذرّيّة والزرع، إثارةُ الشعور وانتباهُ الذهن إلى اتجاه الموضوع، ومدى ارتباط النكاح بالذرّيّة ، والذرّيّة بالزرع، ثمّ جاء حسن الانتقال إلى حاضرهم، في بلد حرام، وحول بيت محجوج في ملك أصيل ممّا يعلي شأنهم و يبيّن رفيع منزلتهم، ممّا يتناسب وموقف الخاطب بعرض ما يرغب فيه من مصاهرة أمثاله.

الموضوع:

ومن هذا كلّه إلى الموضوع، "ثمّ إنّ محمّدَ بن عبد الله"، وهو المعروف لهم بشخصه ونسبه، ثمّ وصفه بصفات المعاني المحمودة، وقارن بينه وبين جميع فتيان قريش،

---

[١٠٨] **ذكر هذه الخطبة صاحب كتاب" سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي(ت: ٩٤٢هـ) عن أبي الحسين بن فارس، ٢: ٢٢٤.**

ورجّحه عليهم، ممّا يقوّي الرغبة فيه، ويسرع بالاستجابة إليه . "وله في خديجة بنت خويلد رغبة"، تعبير لطيف وأسلوب رفيع يحفظ الكرامة ويصون المروءة "، " ولها فيه مثل ذلك" ، تقابل مقبول و رغبة متبادلة، يمنع التردّد في الإجابة.

إنّ ممّا يستلفت النظر ما عُلِمَ أنّ خديجة رضي الله عنها هي التي رغبت إليه وارتضته لنفسها، و لم تجد لسبق الرغبة هنا أثرا في هذه الخطبة، ممّا يعطينا صورة عن مقام الخِطبة في النكاح أنّها عامل تكريم، وكرامة المرأة في تمنُّعِها و إبائها ، وكرامة الرجل في تقدّمه وإغلاء مطلوبه عنده؛ لذا بدأ أبو طالب في تقديم إعلان رغبة محمد قبل رغبة خديجة، ثمّ أعلن استعداده لما أحبّوا من الصداق فقال: " وما أحببتم من الصداق فعليّ"، فكأنّ هذا العرض كالخاتمة، يشعر بأنّهم قد استجابوا بالفعل و كأنّه لم يبق إلا الصداق، وقد اعتذر عن قلّة مال ابن أخيه و تحمَّل عنه الصداق، ولم يقصر لهذا السبب بل جعله وفق محبّتهم هم لا مماكسة [١٠٩] ولا مشارطة.

الخاتمة :

خاتمة هذه الخطبة مقتضبة؛ لأنّ الغرض من الخاتمة إنّما هو تلخيص ما سبق من عرض الموضوع ليُلِمَّ به السامع في إيجاز، و هنا لا حاجة إلى إلمام و لا إلى إيجاز؛ لأنّ الغرض معروف و النتيجة واضحة، ولكأنّه أشار إليها بأنّها حاصلة و منتهية، بأنّهم أجابوا و تمّ الرضا و القبول لمجرّد عرض الخِطبة؛ لذا بادر بالصداق مع أنّه من المتعارف أنّه لا يذكر الصداق إلا بعد إعلان الرضا و القبول، وهو هنا شعر بها واطمأنّ إلى إجابتهم، وبهذا الاطمئنان تنتهي المهمّة فلا حاجة إلى خاتمة تستوعب ما فات أو توجزه لسامع ما دامت المهمّة قد تمّت وحصل القبول والموافقة؛ لذا بادرهم بالصداق كما يحبّون، وعليه نعلم أنّه كما يمكن في ترك المقدمة أو إيجازها لوجود ما يغني عنها أو لضيق الوقت، كذلك يمكن ترك الخاتمة قد تُتركُ أو

[١٠٩] المماكسة : انتقاص الثمن واستحطاطه، لسان العرب ص ٤٢٤٨ .يريد دون أن يطلب إنقاص ثمن المهر.

إيجازها لانتهاء المهمّة وحصول المطلوب، بل قد تترك الخطبة كلّها إذا انتهت مهمتها، كما في أمثلتهم : (قطعت جهيزةُ قولَ كلِّ خطيب).

البـــــــلاغـــــــــة

البلاغة لغة مأخوذة من بلوغ الشيء منتهاه، قال صاحب اللسان: " بَلغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً: وصَلَ وانْتَهَى، وأَبْلَغَه هُوَ إِبْلاغاً وبَلَّغَه تَبْلِيغاً، وتَبَلَّغَ بِالشَّيْءِ: وصَلَ إِلى مُرادِه، وأَمرٌ بالِغٌ وبَلْغٌ: نافِذٌ يَبْلُغُ أَين أُرِيدَ به، وأَمرٌ بَالِغٌ: جَيِّدٌ، والبَلاغةُ: الفَصاحةُ، وَرَجُلٌ بَلِيغٌ وبَلْغٌ وبِلْغٌ: حسَنُ الْكَلَامِ فَصِيحُه يُبَلِّغُ بِعِبَارَةِ لِسَانِهِ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ، والجمعُ بُلَغاءُ، وَقَدْ بَلُغَ، بِالضَّمِّ، بَلاغةً أَي صَارَ بَلِيغاً، وقولٌ بَلِيغٌ: بالِغٌ وَقَدْ بَلُغَ."[١١٠]، والبلاغة فعالة مصدر بلُغ بضم اللام كفقه وهو مشتق من بلَغ بفتح اللام بلوغاً بمعنى وصل وإنما سمي هذا العلم بالبلاغة لأنه بمسائله وبمعرفتها يبلغ المتكلم إلى الإفصاح عن جميع مراده بكلام سهل وواضح ومشتمل على ما يعين على قبول السامع له ونفوذه في نفسه فلما صار هذا البلوغ المعنوي سجية يحاول تحصيلها بهذا العلم صاغوا له وزن فعُل بضم العين للدلالة على السجية فقالوا علم البلاغة، وبيان ذلك أن اشتمال الكلام على الكيفيات التي تعارفها خاصة فصحاء العرب فكان كلامهم أوقع من كلام عامتهم وأنفذ في نفوس السامعين وعلى ما شابه تلك الكيفيات مما أبتكره المزاولون لكلامهم وأدبهم وعلى ما يحسن ذلك مما وقع في كلام العرب وابتكره المولعون بلسانهم يعد بلوغاً من المتكلم إلى منتهى الإفصاح عن مراده.

أما اصطلاحا، فعلم البلاغة هو العلم بالقواعد التي بها يعرف أداء جميع التراكيب حقها، وإيراد أنواع الشبيه والمجاز والكناية على وجهها وإيداع المحسنات بلا كلفة مع فصاحة الكلام.

وقد كان هذا العلم منثوراً في كتب تفسير القرآن عند بيان إعجازه، وفي كتب شرح الشعر ونقده، ومحاضرات الأدباء من أثناء القرن الثاني من الهجرة، فألف أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ١٤٤ كتاب" مجاز القرآن"، وألف الجاحظ عمرو بن بحر المتوفى سنة ٣٤٤ كتباً كثيرة في الأدب، وكان بعض من هذا العلم منثوراً أيضاً في كتب النحو مثل: كتاب سيبويه، ولم يخص بالتأليف إلا في أواخر القرن الثالث

[١١٠] لسان العرب، مادة(ب ل غ) ، ٨: ٤١٩ وما بعدها.

إذ ألف عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي (ت: ٢٩٦هـ)- قتيلاً بعد أن بويع له بالخلافة ومكث يوما واحداً خليفة- ألف كتاب" البديع"، وقد أودعه سبعة عشر نوعاً وعد الاستعارة منها، ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني الأشعري الشافعي(المتوفى سنة ٤٧١) فألف كتابيه" دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة " ، أولهما في علم المعاني والثاني في علم البيان ، فكانا أول كتابين ميزا هذا العلم عن غيره ولكنهما كانا غير ملخصين، ولا تامي الترتيب فهما مثل در متناثر كنزه صاحبه لينظم منه عقداً عند تأخيه، فانبرى سراج الدين يوسف بن محمد بن علي السكّاكي الخوارزمي المتوفي سنة ٦٢٦ ، إلى نظم تلك الدرر فألف كتابه العجيب المسمى" مفتاح العلوم في علوم العربية" ، وأودع القسم الثالث منه الذي هو المقصود من التأليف مسائل البلاغة دونها على طريقة علمية صالحة للتدريس والضبط فكان الكتاب الوحيد، وقد اقتبسه من كتابي الشيخ عبد القاهر، ومن مسائل الكشاف في تفسير القرآن للزمخشري، فأصبح عمدة الطالبين لهذا العلم وتتابع الأدباء بعده في التأليف في هذا العلم الجليل.

أقسام البلاغة:

ينقسم علم البلاغة إلى ثلاثة فروع هي (علم المعاني ، علم البيان ، علم البديع):

١- علم المعاني : يهتم بالنص أو الحديث كوحدة كلية من حيث الأفكار والجمل واتساقها مع بعضها البعض ، كما يهتم بمعرفة نوع وأسلوب الكلام المستخدم في الحديث ، وأساليب الكلام في لغتنا العربية هي :

أولا الأسلوب الخبري : يستخدم الاسلوب الخبري عادة للحديث عن شيء جديد بالنسبة للسامع أو القارئ ، وهو يحتمل الصدق أو الكذب ويمكن استخدام ادوات التوكيد لتأكيد الخبر مثل (إن ، قد ، نون التوكيد، ...) .

ثانيا الأسلوب الإنشائي : هو كلام ليس صدقا وليس كذبا وينقسم إلى :

- الإنشاء الطلبي ، أقسامه (الأمر ، الإستفهام ، النهي ، التمني ، النداء) .

-الإنشاء الغير طلبي ، أقسامه (المدح والذم ، القسم ، التعجب ، صيغ العقود ، الرجاء) .

فروع علم المعاني:

– الايجاز : ويعني اختزال الكلمات، وذلك بالتعبير بكلمات قليلة تختصر حديث طويل وفي نفس الوقت يظل محتفظا بمعناه الأصلي، وهو أنواع (ايجاز بالحذف ، ايجاز بالقصر)

– الفصل والوصل: المغذى من هذا الفرع هو معرفة متى يجب وصل الكلام ، وكيف يتم عطف الجمل على بعضها ، ومتى يجب فصل الكلام وبداية جمل جديدة وتعد المعرفة بهذا المبحث هي أساس علم البلاغة.

– الاطناب: هو التعبير عن المعنى باستخدام أكثر من عبارة بشرط أن تضيف الزيادة فائدة للحديث وكذلك لمعنى الكلام .

٢- علم البيان:

يهتم هذا العلم بالصور البلاغية وقدرتها على توضيح وتوصل المعنى ومن الصور البلاغية:

– التشبيه: هو الحاق أمر بأمر آخر في وصفه ، الأمر الاول هو المشبه والأمر الثاني هو المشبه به ، وأركان التشبيه هي:(المشبه، المشبه به، آداه التشبيه وجه الشبه) .

– الكناية: هو استخدام كلمات أو صفات معينة بهدف توصيل معنى آخر ملازم لهذه الكلمات، مثال أبي أسد: كناية عن الشجاعة.

– الاستعارة: هي تشبيه حذف أحد طرفيه ، أنواعها (استعارة مكنية ، استعارة تصريحية، استعارة تمثيلية).

٣- علم البديع :

ويهتم بالمحسنات البديعية التي تزيد الكلام حلاوة وتجعله يترك أثرا خلابا في النفس، مع عدم الاخلال بالمعنى الأصلي له، أنواع المحسنات البديعية:

- الجناس: وينقسم إلى:

١- الجناس التام: هو اتفاق لفظين في الحروف وعددها مع اختلافهما في المعنى .

٢- الجناس الناقص: هو لفظان متشابهان في الحروف مع اختلاف عددها .

٣- جناس القلب: هو لفظان مختلفان في ترتيب الحروف .

٤- الجناس المحرف: هو اختلاف تشكيل الحروف من حيث الفتح والضم والكسر.

- الطباق: الجمع بين شيئين متضادين بهدف توضيح وابراز المعنى لكل منهما، وأنواعه:(طباق بالإيجاب ، طباق بالسلب).

- السجع : هو كلام ذو قافية واحدة ، أي اتفاق الحرف الأخير من كل جملة.

اجتهادات بلاغية في بعض آيات القرآن الكريم

قال تعالى:" وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا"[١١١]

<u>الإحسان إلى الوالدين:</u>

في هاتين الآيتين يأمر الله تعالى ببر الوالدين والإحسان إليهما، وذلك لما قدّماه لأولادهما من حب وعطف ورعاية وتضحيات.

وإليك – عزيزي القارئ– هذه النظرات البلاغية والوقفات الآتية:

دلالة عطف الأمر بالإحسان إلى الوالدين على ما هو في معنى الأمر بعبادته في الآية الأولى فإن فيه إشارة إلى عظيم حق الوالدين ومكانتهما في الإسلام؛ لأنهما سبب وجود الإنسان، ولما بذلاه من أجل تربية أولادهما، ودائما ما يقترن النهي عن الإشراك بالله تعالى بالإحسان إلى الوالدين في القرآن الكريم، قال تعالى:" وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا" النساء: ٣٦، وقال تعالى: " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا" الأنعام: ١٥١.

والإحسان إلى الوالدين ليس بكفالتهما وإمدادهما بما يحتاجان إليه فقط، بل هو أعمق من ذلك في القول والعمل والبذل والمواساة، ولعل أجمع تعبير عن ذلك هو تعبير النبي صلى الله عليه وسلم بحسن الصحبة كما ورد في حديثه الشريف، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال: يا رَسُول اللَّهِ من أحقُّ الناس بحسن صحابتي قال:" (أمُّك) قال: ثم من؟ قال: (أمُّك) قال: ثم من قال: (أمُّك) قال: ثم من قال: (أبوك)."، وقُدم الجار والمجرور" بالوالدين" على متعلقه" إحساناً"؛ لمزيد الاهتمام بهما، ولإثبات أنهما أولى من دون الناس بالإحسان، فتوافق تقديمهما لفظاً مع تقديمهما معاملة، وهذا من روائع البيان القرآني.

[١١١] سورة الإسراء، الآيتان ٢٣، ٢٤.

رؤى للاعتبار:

في قوله:" إما يبلغنَّ عندك الكبر"، خطاب لغير معين فيعم كل مخاطب بدلالة العطف على قوله:" ألا تعبدوا إلا إياه"، وأرجو منك عزيزي القارئ أن تتأمل بلاغة هذه الجملة التي توحي بقرب رحيل الوالدين، ونلمس هذا في قوله" يبلغنَّ"، وما فيه من دلالة على الوصول إلى مرحلة الكبر التي تنذر بقرب انتهاء العمر، ومعنى "عندك"، أي: في كنفك ورعايتك وكفالتك، وقد ألقى هذا الظرف" عندك" بظلال حزينة كما أشعر به حيث فيه استثارة لمشاعر الأبناء وعواطفهم؛ فالوالدان بعد أن كانا مسؤولين عن تربية أولادهما بما كانا يتمتعان به من قوة وصحة وقدرة وبعد أن كانا الملجأ والحماية والرعاية لأولادهما، فها هو ذا الكبر يستبد بهما، ويلجئهما إلى أولادهما، ليعيشا في كنفهم وظل قوتهم ورعايتهم، فالحال قد تغير وأصبح الوالدان في ظل شيخوختهما في حاجة ماسّة إلى العطف والحنان والرعاية من أولادهما، ولذلك أُكد الفعل بنون التوكيد في قوله: يَبْلُغَن، وأظنك لا تجد تلك الظلال لو قيل: إما يبلغن الكبر، وقد خُصت حالة الكبر في الآية؛ لأن التقصير في حقّ الأبوين يكون أشد في تلك الحالة.

خفض الجناح:

تأمل البلاغة في بيان وجوب الإحسان إلى الوالدين والاهتمام بهما، فانظر تعدد فاعل" يبلغن"، وهو قوله" أحدهما أو كلاهما"؛ حيث يمكن الخطاب بضمير التثنية: إما يبلغان عندك الكبر، لكنه آثر تعدد الفاعل هنا دلالة على وجوب الاهتمام بتخصيص كل حالة من أحوال الوالدين بالذكر، وبيان هذا أنه قد تكون حالة انفراد أحد الأبوين عند الابن أخف مشقة عليه من حالة اجتماعهما، فذكر: أو كلاهما؛ لتحذير الابن من أن حالة اجتماعهما ليست حُجةً للتقصير في حقِّهما، فلأجل ذلك ذُكرت الحالتان، وأُجري الحكم عليهما على السواء.

ومعنى هذا أن الابن مطالب برعاية والديه معاً في كبرهما أو أحدهما كأحسن ما تكون الرعاية، ولأن هذه الحياة المستمرة مع ضعف الشيخوخة واستقذار بعض ما يكون من أحد الأبوين أو منهما سبب لبعض الضجر فتنفلت عبارة تضجر أو تأفف فقد نهى سبحانه عن مثل هذا فقال: فلا تقل لهما أف، وهو صوت يصدر عن الإنسان في حالة ضجره فنهى حتى عن ذلك، وليس المقصود النهي عن قول كلمة: أف خاصة، وإنما المقصود النهي عن الأذى الذي أقلّه الأذى باللسان بأوجز كلمة، فيُفهم من هذا النهي عما هو أشد أذى من باب أولى، وعُطف على هذا النهيُ عن نهرهما والغلظة معهما، فقال: ولا تنهرهما؛ لزيادة التأكيد على عدم إلحاق الأذى بهما.

وفي قوله تعالى: واخفض لهما جناح الذُّلِّ، ارتقاء في العناية بالأبوين إلى أمر الولد بالتواضع لهما تواضعاً يبلغ حد الذل لهما، لإزالة وحشة نفسيهما إن صارا في حاجة إلى معونة الولد؛ لأن الأبوين يبغيان أن يكونا هما النافعان لولدهما، والقصد من ذلك التخلق بالوفاء وتذكر الجميل والإحسان، وقد صيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلل الطائر عندما يعتريه خوف من طائر أشد منه، إذ يخفض جناحه متذللاً، ففي هذا التعبير استعارة مكنية.

وينبغي الإشارة إلى أن هذا التواضع والانكسار والخضوع للوالدين هو من الرحمة لا من الذِّلة، والبون بينهما شاسع؛ فهو عطف ورفق ولين وتواضع، أما ذل الاستكانة والمذلة، فهو ذل خنوع وضعف وخور، ويصدر عن غير قوة، وهو ذل منبوذ مكروه، أما الذل الأول فهو ذل محمود محبب؛ لأنه يصدر عن قوة وقدرة، وهذا له مدلوله العظيم في حياتنا. ويؤيد هذا المعنى قوله من الرحمة فإن (من) هنا ابتدائية والمراد كما قلنا الذل الناشئ عن الرحمة لا عن الخوف أو الجُبن أو الخور أو عن المداهنة. والمقصود اعتياد النفس على التخلق بالرحمة باستحضار وجوب معاملة الأبوين بها حتى يصير هذا خلقاً متأصلاً فيها.

وقد ذكر الشيخ محي الدين درويش كلاما طيبا في هذا الباب، قال: " في قوله تعالى «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة» استعارة شغلت علماء البيان...، فهي استعارة مكنية؛ لأن إثبات الجناح للذل يخيل للسامع أن ثمة جناحا يخفض والمراد ألن لهما جانبك، وتواضع لهما تواضعا يلصقك بالتراب، والجامع بين هذه الاستعارة والحقيقة أن الجناح الحقيقي في أحد جانبي الطائر، وأن الطائر إذا خفض جناحه وهو الذي به يتقوى وينهض، انحط إلى الأرض وأسف الى الحضيض ولصق بالتراب فالاستعارة مكنية؛ إذ شبهت إلانة الجانب بخفض الجناح بجامع العطف والرقة وهذه أجمل استعارة وأحسنها وكلام العرب جاء عليها."[١١٢]

فإن الجناح للذل مناسب وذاك أن الطائر إذا وهن أو تعب بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الأرض وللإنسان أيضا جناح فإن يديه جناحاه وإذا خضع واستكان طأطأ من رأسه وخفض من يديه فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل وصار تشبيها مناسبا.

هذا ولا بد من التنويه بالصورة المجسدة التي رسمتها الآية لطاعة الوالدين وبرهما، ليتدبرها البنون ويكتنهوا سرها الخفي وقد أفصح عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلاء حين شكا إليه رجل أباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ عصا، عن جابر بن عبد الله قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إن أبي أخذ مالي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل:" اذهب فأتني بأبيك."، فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" إن الله يقرئك السلام ويقول: إذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه."، فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم:" مازال ابنك يشكوك أنك تأخذ ماله؟ قال: سله يا رسول الله هل أنفقه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسي؟ فقال

[١١٢] إعراب القرآن وبيانه، المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ، ٥: ٤١٣.

النبي صلى الله عليه وسلم: إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك."، قال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينا، قلتُ في نفسي شيئًا ما سمعته أذناي. قال: قل وأنا أسمع. قال: قلتُ:

غذوتك مولودا وعلتك يافعا تعَلُّ بما أجني عليك وتنهل

إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا ساهرا أتململ

تخاف الردى نفسي عليك وإنها لتعلم أن الموت وقت مؤجل

كأني أنا المطروق دونك بالذي طرقت به دوني فعيناي تهمل

فلما بلغت السن والغاية التي إليها مدى ما فيك كنت أؤمل

جعلت جزائي غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك إذ لم ترع حق أبوتي فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال: فعند ذلك أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال: (أنت ومالك لأبيك)."[١١٣]

[١١٣] رواه الطبراني في معجمه الصغير والأوسط، وابن أبي الدنيا في جزء العيال. وقال الألباني: أخرجه أبو الشيخ في "عوالي حديثه". والطبراني في "المعجم الصغير"، والمعافى بن زكريا في "جزء من حديثه". والحديث فيه ضعف.

من أخلاقيات نبي الهدى صلى الله عليه وسلم:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: " لمَّا كان يومُ فتحِ مكةَ اختبأَ عبدُاللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي السرحِ عِندَ عثمانَ بنِ عفانَ فجاءَ به حتى أوقفَهُ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ فقال يا رسولَ اللهِ بايعْ عبدَاللهِ فرفعَ رأسَهُ فنظرَ إليه ثلاثًا كلُّ ذلك يأبَى فبايعَهُ بعدَ ثلاثٍ ثم أقبلَ على أصحابِهِ فقال أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ ، يقومُ إلى هذا حيث رآني كففْتُ يَدي عن بيعتِهِ فيقتلُهُ ؟ فقالوا : ما نَدري يا رسولَ اللهِ ما في نفسِكَ ألَّا أومأتَ إلينا بعينِكَ ! قال: إنَّهُ لا يَنبغي لنبيٍّ أن تكونَ له خائنةُ الأعينِ."[١١٤]

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أحسن الناس خلقًا، وليس له خائنَةُ الأعْيُنِ، ولا يَليقُ بِمقامِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم أن يُشيرَ بعَيْنِه إشارَةً خفيَّةً ولو إلى شيءٍ مُباحٍ، مِثلَ قتْلِ شخْصٍ مهْدورِ الدَّمِ.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ سعْدُ بنُ أبي وقَّاصٍ: " لمَّا كان يوْمُ فتْحِ مكَّةَ"، أي: حين كان اليومُ الَّذي فتَحَ فيهِ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم مكَّةَ، "اخْتبَأَ"، أي: اخْتَفى عبدُ اللهِ بنُ سعْدِ بنِ أبي السَّرْحِ عند عُثمانَ بنِ عفَّانٍ؛ وكانوا إخْوةً من الرَّضاعِ، وكان عبدُ اللهِ بنُ أبي السَّرحِ يَكتبُ الوحْيَ للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، ثمَّ ارتَدَّ عن الإسْلامِ، فأمَرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بقتْلِه، "فَجاء بهِ"، أي: جاء بهِ عُثمانُ رضِيَ اللهُ عنه "حتَّى أوْقَفَه"، أي: أَقامَه على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، فقال عُثمانُ رضِيَ اللهُ عنه: يا رسولَ اللهِ "بايِعْ عبدَ اللهِ"، أي: خُذْ منه البيْعَةَ على الإسْلامِ فإنَّه يُريدُ أنْ يَتوبَ، "فرفَعَ رأْسَه"، أي: النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم "فنَظَرَ إليهِ"، أي: صوَّبَ نظَرَه إلى عبدِ اللهِ بنِ أبي السَّرْحِ "ثلاثًا"، أي: ثلاثَ مرَّاتٍ، "كلُّ ذلك يأْبَى"، أي: يرفُضُ أنْ يُبايِعَه، "فبايَعَه" النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بعْد ثلاثٍ، "ثمَّ أقْبَلَ على أصْحابِه"، أي: توجَّهَ إليهم، فقال لهم: "أَما كان فيكم رجَلٌ رَشيدٌ"، أي: أَليس يوجَدُ بيْنكم رجلٌ لَبيبٌ

[١١٤] صحيح أبي داود، الصفحة أو الرقم: ٤٣٥٩.

ذو عقْلٍ يَفْهم ما أُريدُ بامتِناعي عن مُبايعَتِه، "يَقومُ إلى هذا"، أي: إلى عبدِ اللهِ بنِ أبي السَّرْحِ، "حيثُ رآني كففْتُ يَدي"، أي: حيثُ رآني أمسَكْتُ يَدي وامتنَعتُ عن بيْعتِه، "فيَقْتُلُه؟"؛ وفي هذا دَليلٌ على عدَمِ رِضا النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم على بيْعَةِ عبدِ اللهِ بنِ أبي السَّرْحِ، "فقالوا"، أي: الصَّحابةُ رِاضونُ اللهِ عليهم: "ما نَدْري"، أي: لا نعْرِفُ يا رسولَ اللهِ "ما في نفْسِك"، أي: ما يَدورُ في نفْسِك "ألَا أوْمَأْتَ إلينا بعيْنِك"، أي: أشرْتَ إلينا بعيْنِك، فقال لهم النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: "إنَّه لا ينْبَغي لِنبيٍّ"، أي: إنَّه لا يَليقُ بالنَّبيِّ "أنْ تَكونَ له خائنَةُ الأعْيُنِ"؛ وهي كسر الجفون والغمز بالعين أو النظرة التي تفهم معنى، أو يريد بها صاحبها معنى، وقيل: مسارقة النظر إلى ما لا يجوز. [١١٥]، ومعنى خائنةُ الأعيُنِ هنا: أنْ يُخفِيَ في قلْبِه غيرَ الَّذي يُظهِرُه للنَّاسِ، أو يُظهِرَ للنَّاسِ أو بسببِ بعْضِ النَّاسِ أمانًا ثمَّ يلْتفِتَ إلى غيرِه ويومِئَ له بعيْنِه أو بأَيِّ إشارةٍ فيها الغدْرُ بمَن أمَّنَه النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم فيكونُ ذلك خِيانةً، والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم منزَّهٌ عنِ الخيانَةِ مُطلَقًا.[١١٦]

وفي الحَديثِ: بيانٌ لأخْلاقِ الأنْبياءِ الحَسنةِ صلَواتُ اللهِ وسَلامُه عليهم.

---

[١١٥] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٤: ٥٥٣.

[١١٦] خائِنَةَ الْأَعْيُنِ قال ابن قتيبة: الخائنة والخيانة واحد. وللمفسرين فيها أربعة أقوال: أحدها: أنه الرجُل يكون في القوم فتمرُّ به المرأة فيُريهم أنه يغُضُّ بصره، فإذا رأى منهم غفلةً لَحَظَ إليها، فإن خاف أن يَفْطنُوا له غَضَّ بصره، قاله ابن عباس. والثاني: أنه نظر العين إلى ما نُهي عنه، قاله مجاهد. والثالث: الغمز بالعين، قاله الضحاك والسدي. قال قتادة: هو الغمز بالعين فيما لا يُحِبُّه الله ولا يرضاه. والرابع: النظرة بعد النظرة، قاله ابن السائب. ظ: زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ، ٤: ٣٣.

الأمثال في الأدب الجاهلي

لا شك أن الأمثال أصدق شيء يتحدث عن أخلاق الأمة وتفكيرها وعقليتها، وتقاليدها وعاداتها، ويصور المجتمع وحياته وشعوره أتم تصوير فهي مرآة للحياة الاجتماعية والعقلية والسياسية والدينية واللغوية، وهي أقوي دلالة من الشعر في ذلك لأنه لغة طائفة ممتازة ، أما هي فلغة جميع الطبقات، قال السيوطي:" قال أبو عُبَيد: الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاوَلَتْ من حاجاتها في المنطق بكنايةٍ غير تصريح فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجازُ اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وقد ضربها النبي صلى الله عليه وسلم وتمثَّل بها هو ومن بعده من السلف.

وقال الفارابي في ديوان الأدب: المثلُ ما تراضاه العامة والخاصة في لفظِه ومعناه حتى ابتذَلوه فيما بينهم وفَاهُوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر ووصلوا به إلى المطالب القصية وتفرَّجوا به عن الكرب والمكربة وهو من أَبْلغ الحِكمة لأنَّ الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصِّر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المَدَى في النَّفَاسة."[١١٧]

ولقد أبدع معظم العرب في ضرب الأمثال في مختلف المواقف والأحداث، فلا يخلو موقف من حياتنا العامة إلا ونجد مثلا ضرب عليه، ولا تخلو خطبة مشهورة ولا قصيدة سائرة من مثل رائع مؤثر في حياتنا، لذا فقد لقيت هذه الأمثال شيوعا؛ لخفتها وعمق ما فيها من حكمة، وإصابتها للغرض المنشودة منها، وصدق تمثيلها للحياة العامة ولأخلاق الشعوب، قيل: يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة فهو نهاية البلاغة.[١١٨]

---

[١١٧] المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، ١: ٣٧٤، ٣٧٥.

[١١٨] الأدب الجاهلي د/ محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتاب ص ١٤٥.

وأصل الأمثال في الغالب قصة، أدت في النهاية إلى ضرب المثل، والفروق الزمنية التي تمتد لعدة قرون بين ظهور الأمثال ومحاولة شرحها أدت إلى احتفاظ الناس بالمثل لسهولته وخفته، ثم تركوا القصص التي أدت إلى ضربها،وتغلب روح الأسطورة على الأمثال التي تدور في القصص الجاهلية، مثل الأمثال الواردة في قصة الزباء [١١٩]، منها: " لا يطاع لقصيرٍ أمر، ولأمر ما جدع قصيرٌ أنفه، بيدي لا بيد عمرو."

وكذلك الأمثال الواردة في قصة ثأر امرئ القيس لأبيه ومنها: " ضيعني صغيرا وحملني ثأره كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر."

وربما يستطيع المحققون بجهد أن يردوا بعض هذه الأمثال لأصحابها ومبدعيها فمن حكماء العرب عدد كبير اشتهر بابتكاره وإبداعه الأمثال بما فيها من عمق، وإيجاز، وسلاسة، يقول الجاحظ: " ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء: أكثم بن صيفي، وربيعة بن حذار، وهرم بن قطيعة، وعامر بن الظرب، ولبيد ابن ربيعة [١٢٠]، وأحكمهم أكثم بن صيفي التميمي، وعامر بن الظرب العدواني ، فأما أكثم فكان من المعمرين [١٢١] ، ويقال إنه لحق الإسلام وحاول أن يعلن إسلامه فركب متوجها إلى الرسول صلي الله علية وسلم ، غير أنه مات في الطريق، وتدور علي لسانه حكم وأمثال كثيرة، وقد ساق السيوطي في المزهر طائفة منها نقلا عن بن دريد، وهي تجري علي

[١١٩] يقال لها: زنوبيا، وهي من أصل عربي، تدعى الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان ابن أذينة بن السميدع السميعة المشهورة في العصر الجاهلي، صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة، وهي ملكة جليلة ذات رأي وحكمة وعقل وسياسة ودقة نظر وفروسية وشدة بأس وجمال فائق، وكانت زنوبيا زوجة لأذينة سيد الشرق الروماني الذي امتدت سلطته على سورية وما يليها ولقب ملك الملوك.
فاستأثر أذينة بسورية وسائر آسيا الرومانية، توجهت إلى مصر تلك البلاد الغنية بالحبوب وفتحتها بكل اقتدار وبذلك عززت مكانة تدمر التجارية وجعلت علاقاتها التجارية تمتد إلى الحبشة وجزيرة العرب، ولم تقنع بمصر بل شرعت تغزو بلاداً وتفتح أوطاناً وتقهر جنوداً وتهزم جيوشاً حتى اتسعت مملكتها اتساعاً عظيماً فامتدت حدودها من شواطئ البسفور حتى النيل أطلقت عليها الإمبراطورية الشرقية، وانتهت حياتها في منزل وضيع في تيبور أعده لها اورليانوس، ولم يتحقق من طريقة وفاتها، إلا أن احدى الروايات تقول أنها امتصت سماً وماتت به، أما بناتها فقد تزوجهن بعض أشراف الرومان.

[١٢٠] البيان والتبيين ٣٦٥/١.

[١٢١] المعمرين للسجستاني ص ١٠ ، والأغاني (طبعة الساسي) ٧٠/١٥ ، ومجمع الأمثال ١٤٥/٢، وجمهرة الأمثال للعسكري علي هامشه ١٢٠/١.

هذا النسق، منها: رب عجلة تهب ريثا[١٢٢]، ادرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل، المرء يعجز لا محالة، لا جماعة لمن اختلف، لكل امرئ سلطان على أخيه حتى يأخذ السلاح، فإنه كفى بالمشرفية واعظا أسرع العقوبات عقوبة البغي. [١٢٣]

وعامر مثل أكثم يدخل في المعمرين[١٢٤] ، ويقال أنه لما أسن واعتراه النسيان أمر ابنته أن تقرع بالعصا إذا هو فه (فه: حاد وجار وانحرف) عن الحكم وجار عن القصد، وكانت ابنته من حكيمات العرب حتى جاوزت في ذلك مقدار صحر بنت لقمان وهند بنت الخس وقال المتلمس في ذلك:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

ولكن أمثال العرب لم تأت على مثل هذه الدرجة من الرقي والانضباط الأسلوبي، مثل التي جاء بها أكثم وعامر، بل إن كثيرا من الأمثال الجاهلية تخلو من التفنن التصويري، وهذا بطبيعة الأمثال فإنها ترد على الألسنة عفوا وتأتي على ألسنة العامة لا محترفي الأدب، فلم يكن من الغريب أن يخرج بعضها علي القواعد الصرفية والنحوية دون أن يعيبها ذلك مثل أعط القوس باريها (بتسكين الياء في باريها والأصل فتحها)، وأيضا (أجناؤها أبناؤها) جمع جان وبان والقياس الصرفي جناتها بناتها لأن فاعلا لا يجمع علي أفعال وهذا يثبت أن المثل لا يتغير بل يجري كما جاء علي الألسنة وأن خالف النحو وقواعد التصريف.[١٢٥]

وبعض الأمثال يغلب عليها الغموض، وتدل تركيبتها على معنى محدد لا تؤدي إليه الكلمات المفردة ومن ذلك قول العرب (بعين ما أرينك) أي أسرع، ولم يكن هذا

---

[١٢٢] أول من قال ذلك ، مالك بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن محلم الشيباني ، وكان سنان بن مالك بن أبي عمرو بن عوف بن محلم شام غيما ، فأراد أن يرحل بامرأته خماعة بنت عوف بن أبي عمرو ، فقال له مالك : أين تظعن يا أخي ؟ قال : أطلب موقع هذه السّحابة ، قال : لاتفعل فإنه ربما خليت وليس فيها قطر ، وأنا أخاف عليك بعض مقانب العرب، قال : لكني لست أخاف ذلك ، فمضى وعرض له مروان القرظ بن زنباع بن حذيفة العبسي فأعجله عنها ، وانطلق بها ، وجعلها بين بناته وأخواته ، ولم يكشف لها سترًا ، فقال مالك بن عوف لسنان : ماذا فعلت أختي؟ قال : نفتني عنها الرماح ، فقال مالك : رب عجلة تهب ريثًا ، ورب فروقة يدعى ليثًا ، ورب غيث لم يكن غيثًا .. فأرسلها مثلاً... ويضرب للرجل يشتد حرصه على حاجة ، ويخرق فيها ، حتى تذهب كلها .

[١٢٣] المزهر للسيوطي – طبعة الحلبي.

[١٢٤] العصر الجاهلي – د/ شوقي ضيف – دار المعارف مصر ص ٤٠٧.

[١٢٥] من تيارات الأدب الجاهلي د/ زينب فؤاد – ص ١٩٦ جامعة أسيوط

النوع من الأمثال هو الوحيد بل هناك أمثال صدرت عن شعراء مبدعين وخطباء مرموقين فجاءت رائقة الأسلوب متألقة بما فيها من جماليات الفن والتصوير، مثل: أي الرجال المهذب، فهذا المثل جزء من بيت للنابغة يضرب مثلا لاستحالة الكمال البشري والبيت:

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

والأمثال في الأدب الجاهلي يصعب تميزيها عن الإسلامي؛ لاختلاطهما ببعض عند الرواة والمؤلفين، ولكن ما يشير إليه من حادث أو قصة أو خبر مما يتصل بالجاهلية يساعد على معرفه الجاهلي وتمييزه من الإسلامي مثل: ما يوم حليمة سر[١٢٦]، وقد يدل علي جاهلية المثل أن يكون مخالفا لتعاليم الإسلام ومبادئه مثل: اليوم خمر وغدا أمر، والأمثال إما حقيقية أو فرضية، فالحقيقة: لها أصل وقائلها معروف غالبا، والفرضية ما كانت من تخيل أديب ووضعها عل لسان طائر أو حيوان أو جماد أو نبات أو ما شاكل ذلك، والفرضية تساعد علي النقد والتهكم والسخرية وخاصة في عصور الاستبداد وهي وسيلة ناجحة للوعظ والتهذيب والفكاهة والتسلية مثل كليلة ودمنة وسلوان المطاع ، وفاكهة الخلفاء.[١٢٧]

بعض القصص الحقيقية التي صارت أمثالا تضرب:

رجع بخُفَي حُنين، يُقال أنه في قديم الزمان وفي بلاد الحيرة كان هناك رجل يُسمى (حُنيْن)، يعمل إسكافيًا، وذات يوم دخل عليه أعرابي ليشتري خفين، فظل يُساوم حُنين مساومة شديدة في ثمن الخفين حتى أغلظ في القول، فلم يُعجب حُنين أسلوب الأعرابي واغتاظ منه ورفض بيعه الخفيْن، فما كان من الأعرابي سوى أن شتم حنيْنًا وخرج من دكانه، وبعدما وجد حنيْن من الأعرابي سوء الأدب والتصرف، قرر أن ينتقم منه. فأخذ الخفيْن وسبق الأعرابي من طريقٍ مختصر. فألقى بأحد الخفين في

[١٢٦] حليمة بنت ملك غسان، ويضرب هذا المثل للأمر المشهور الذي لا يكاد يجهل.
[١٢٧] الأدب الجاهلي د/ محمد عبد النعيم خفاجي – دار الكتاب - ص ١٤٦.

الطريق، ثم مشى مسافة وألقى الآخر واختبأ ليُراقب الأعرابي ما سيفعل، وبينما الأعرابي في طريقه، فوجئ بالخف الأول على الأرض. فأمسكه وقال لنفسه: " ما أشبه هذا الخُف بالخف الذي كنت أريد أن أشتريه من الملعون حنين، ولو كان معه الخف الآخر لأخذتهما، لكن هذا وحده لا نفع فيه". ثم أكمل الأعرابي طريقه ليُفاجأ بالخف الآخر في طريقه، فندم لأنه لم يأخذ الأول وترك راحلته في مكانها بلا حماية وعاد مسرعًا ليأخذ الخف الأول، فانتهز حُنيْن الفرصة وتسلل إلى الراحلة وأخذها بما عليها من حمولة، فلما عاد الأعرابي بالخفيْن سعيدًا لم يجد راحلته وزاده، فعاد إلى قومه، وعندما سألوه: بمَ عدتَ من سفرك؟ أجاب: "عدتُ بخفي حنيْن"! فصار مثلا يضرب لمن خاب مسعاه.

الصيفَ ضيّعتِ اللبن، هذا المثل في الأصل خوطبت به امرَأة وهي دَخْتَنُوس بنت لقيط بن زُرارة (تميمية توفيت نحو ٥٩٤ م)،كانت زوجة لأبي شُرَيح عمرو بن عُدَاس، وقيل إنها كانت ابنة عمه، وبعدما أسنّ زوجها وأصبح عجوزًا، وكان أكثر قومه مالاً وأعظمهم شرفًا، وكان رجلاً كبيرًا وشهمًا كريمًا، فكان يغدق عليها طعامًا وشرابًا ولبنًا سائغًا للشاربين، لكنّها كرهت شيخوخته، بعد أن أصبح قبيحًا رديء الفم وأبرص أبخر أعرج، فأخذت تؤذيه وتسمعه ما يكره وتهجره، ففركته حتى طلّقها، وكان سبب الطلاق هو أنه وضع رأسه ذات يوم في حِجرها، فهي تُهمهُم وتُفلي في رأسه فأغفى ونام عمرو، فَسال لعابه وهو بين النائم واليقظان فانتبه لِذلك، فلقي دختنوس تَتأفف منه، فقال: أيسرك أن أفارقك وأطلقك؟، قالت: نعم، فَطلقها، وكان ذَلِكَ في الصيف، ثمّ تزوجت بعده بشابٍ جميل المُحيّا وسيمًا وهو عُمير بن مَعبد من "آلِ زُرارة"، لكنّه لم يكن كزوجها السابق في الشجاعة والمروءة وكريم الخصال، ولا وجهًا مشرقًا بالسرور ولا معاملة محفوفة بالإعزاز والإكرام، وذات عام أجدبت الأرض وأصبحت قاحلة، وكان الوقتُ صيفًا قائظًا، فمرت إبل عمرو بن عداس عليها كأنها الليل من كثرتها، فقالت دختنوس لخادمتها: ويلك انطلقي إلى أبي شُريح

فقولي له: فليسقنا من اللبن!، فأتت الخادمة تطلب منه حَلُوبة فقالت له: إن بنت عمك دختنوس تقول لك اسقِنا من لبنك!، فقال لها عمرو: قولي لها في الصّيف ضيّعْتِ اللّبن يا دختنوس!، فمضى مثلاً مُتداولا بين العرب يضرب لمن ضيّع الفرصة، وفوّت الغنيمة[١٢٨]، ثم أرسل إليها بلقوحين من لبن، فقالت الخادمة: أرسل إليكِ أبو شُرَيح بِهذا، وهو يقول لكِ: في الصّيف ضيّعْتِ اللّبن، فقالت دختنوس حين سمعت ذلك وضربَتْ يَدَها بخفة على منكب زوجها الشاب: هذا ومَذْقُه خَيرٌ، تعني أن هذا الزوج مع عدم اللبن والمال خيرٌ وأفضل من زوجها السابق أبي شريح، فذهبت كلماتها مثلاً مُتداولا بين العرب لمن قَنَع باليسير إذا لم يجد الخطير.

وَقيل طلق الْأسود بن هُرْمُز امْرَأَته العنود؛ رَغْبَة عَنْهَا إِلَى امْرَأَة من قومه ذَات جمال وَمَال ثمَّ جرى بَينهمَا مَا أدّى إِلَى الْمُفَارقَة، فتبعت نَفسه العنود فراسلها فأجابته بقولِهَا من (الْكَامِل):

أتركتَني حتى إذا عُلِّقتَ أبيضَ كالشطَنْ

أنشأتَ تطلب وصلَنا في الصيف ضيعتَ اللبن

وَكَانَت قد تزوجت رجلا اسْمه عَامر ثمَّ عطفها عَلَيْهِ عطوف ذِي صُحْبَة فاحتالت حَتَّى طَلَقهَا عَامر وَتَزَوجهَا الْأسود يضْرب لمن فرط فِي طلب الْحَاجة وَقت إمكانها ثمَّ طلبَهَا بعد فَوَاتهَا.[١٢٩]

على أهلها جنت براقش، يقال أن براقش كانت كلبة، وقد أغار قوم على قومها، فنبحت، فنبهت قومها، فقاموا، وذهبوا إلى مغارة؛ ليختبوا فيها، وعندما جاء اللصوص أخذوا يبحثون عن أهل القرية، ولم يجدوا أحد، وعندما هموا بالانصراف نبحت الكلبة

[١٢٨] مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان، ٢: ٦٨.

[١٢٩] المستقصي في أمثال العرب، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م، ١: ٣٢٩.

براقش، فانتبه لها اللصوص، فقتلوا عددا من قومها، وقتلوها أيضا، فقيل: على أهلها جنت براقش.[١٣٠]، يضرب مثلاً للرجل يهلك قومه بسببه.[١٣١]

وافق شنٌّ طبقةَ، شَنّ رجل من العرب خرج ليبحث عن امرأة مثله يتزوجها، فرافقه رجل في الطريق إلى القرية التي يقصدها، ولم يكن يعرفه من قبل. قال شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل أنا راكب وأنت راكب فكيف تحملني أو أحملك؟ فسكت شن حتى قابلتهما جنازة، فقال شن: أصاحب هذا النعش حي أم ميت؟ فقال الرجل ما رأيت أجهل منك، ترى جنازة وتسأل عن صاحبها أميت أم حي، فسكت شن، ثم أراد مفارقته، فأبى الرجل وأخذه إلى منزله، وكانت له بنت تسمى طبقة. فسألت أباها عن الضيف فأخبرها بما حدث منه، فقالت يا أبت ما هذا بجاهل؛ إنه أراد بقوله أتحملني أم أحملك: أتحدثني أم أحدثك. وأما قوله في الجنازة فإنه أراد: هل ترك عقبا يحيا به ذكره؟ فخرج الرجل وجلس مع شن وفسر له كلامه، فقال شن: ما هذا بكلامك ، فصارحه بأنه قول ابنته طبقة، فتزوجها شن. ويضرب مثلا للمتوافقين.[١٣٢]

هناك بعض القصص الخرافية علي ألسنة الحيوانات صارت أمثالا، ومن هذه القصص:

-قصة الغراب والديك:

"في الكثير من الروايات من أحاديث العرب أن الديك كان نديما للغراب، وأنهما شربا الخمر عند خمار ولم يعطياه شيئا، وذهب الغراب ليأتيه بالثمن حين شرب، ورهن الديك فخاس به فبقي محبوسا.[١٣٣]

---

[١٣٠] الأمثال، المؤلف: زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (المتوفى: بعد ٤٠٠هـ)، الناشر: دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، ص ١٧٠.

[١٣١] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ١: ٢٨٥.

[١٣٢] الفاخر، المؤلف: المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (المتوفى: نحو ٢٩٠هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٠ هـ، ص ٤٧، وينظر: مجمع الأمثال للميداني، والأدب الجاهلي د/ محمد عبد النعيم – مرجع سابق – ص ١٥٠.

[١٣٣] الجاحظ: الحيوان ، للجاحظ، ط الحلبي – القاهرة، ٢: ١٢٥، ١٢٦.

وربما لهذا الغدر تشاءمت العرب من الغراب ورأته نذيرا بالفرقة والخراب ربما لأنه تسبب في فقدان الديك حريته، واستئثاره لدي البشر حتى اليوم.

-الاحتكام إلى الضب:

أما القصة التي أبدعها العرب لتبرير عدد كبير من الأمثال فهي قصة احتكام الأرنب والثعلب إلى الضب، وتكاد كل جمل الحوار فيها تكون أمثالا وتميزت بالحيوية، ومرح الموقف، وقصر العبارة، وسلاستها، ودقة وعمق ما فيها من أمثال، إلى جانب تعدد شخوصها وصدق التعبير عن سماتها النفسية، زعموا أنَّ الأرنب التقطت ثمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا إلى الضب يختصمان. فقالت الأرنب: يا أبا الحسل! فقال: سميعا دعوت. قالت: أتيناك نختصم إليك فأخرج إلينا. قال: في بيته يؤتى الحكم. قالت: إني وجدت ثمرة. قال: حلوة فكليها. فقالت: فاختلسها مني الثعلب. قال: لنفسه سعى. قالت: فلطمته. قال: بحقك أخذت. قالت فلطمني. قال: حر انتصر. قالت: فاقض بيننا! قال: قد قضيت! والقصة مرصعة بالأمثال. فكل كلام الضب القاضي صار أمثالا سائرة. وكل منها يعبر عن موقف عميق، فقوله: سميعا دعوت، يقال لبيان أنك منتبه إلى مخاطبك مصغ له و حاضر معه، وقوله: في بيته يؤتى الحكم، موافق لقاعدة أن القاضي يؤتى إليه ولا يأتي إلى أحد؛ فذلك من توقير القاضي والتسليم لحكمه، وقوله: حلوة فكليها، يقال لمن وجد لقطة، فالأحوط أن يعجل الاستفادة منها، وقوله: لنفسه سعى، فلا يلام من أراد تحقيق الخير لنفسه، وقوله: بحقكِ أخذتِ، فلا لوم على من رد عن نفسه و دافع عن ماله أو نال ممن نال منه، وقوله: حر انتصر، يقال لمن انتصر لحقه، وقوله: قد قضيت، حديث الضب مختصر سريع موافق للموقف.[١٣٤]

[١٣٤] ينظر: مجمع الأمثال ،ط السنة المحمدية – القاهرة، ٢: ٧٢.

المعجم العربي

مدخلٌ:

في الخزانةِ العربيةِ الإسلاميَّة كنوزٌ علمية عديدة، وفي صدارتِها المعاجمُ العربية القديمة؛ إذ مِن خلالها تم الحفاظُ على الثروةِ العربية لقرونٍ من الزمن؛ حيث تُشكِّل المعاجمُ القديمة مرجعًا أساسيًّا للغة العربية عبر العصور، ويتمثل دورُها الأساسي في الحفاظ على هذه الثروةِ اللفظية، وصيانة التراث الحضاريِّ بشتى أنواعه، ولولا هذه المعاجمُ لاندَثَرت هذه الثروةُ؛ لكون علماء اللغة ومستعمِليها لا يستغنون عن الرجوع إلى هذه المعاجم، فهي صناعة لُغَوية، ووسيلة هدفُها جمع اللغة ووصفها.

لقد نشأ المعجمُ العربيُّ معتمدًا على مفهوم الفصاحة، ومؤسسًا على معاييرَ ومبادئ محدَّدة، ومصادر متنوِّعة؛ حيث برزتِ المدارسُ المُعْجَمية في التصنيف والتأليف لتحقق الفوائد والثمرات التي يجنيها مستعملُ المعجَم على مرِّ العصور التي قطعها مجال التأليف المعجمي.[١٣٥]

المعجم لغةً:

يتَّضِح من مشتقات كلمة (عجم) أنها لا تفيد الوضوح، بل تدلُّ على الغموض، فكيف يكون المعجم مِن مشتقاتها، والمعروف أن من أهدافه الأساسية التيسير والتسهيل.؟![١٣٦]

المعجم اصطلاحًا:

هو كتابٌ يضمُّ ألفاظ اللغة العربية مرتَّبةً على طريقة معيَّنة، مشروحة شرحًا يُزيل إبهامَها، بالإضافة إلى احتوائها على ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث، وتعِين الدارسَ على الوصول إلى مرادِه، فهو يُعْنَى بالدرجة الأولى بمصطلحات موضوعٍ أو علم معين؛ لذلك تبقى مسألةُ وضع المعاجم عملًا لا ينتهي في أي لغةٍ من اللغات، بهدف مسايرةِ هذه اللغة وقدرتها على تحقيق مطالبِ الفكر والحضارة في

---

[١٣٥] من بحث لمحمد البوزيدي، من على شبكة الإنترنيت العنكبوتية، بتصرف يسير.

[١٣٦] ينظر: عبدالقادر أبو شريفة، حسن لافي، وداود غطاشة، (١٩٨٩)؛ علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر، عمان، ص ١١٣.

شتى المجالات الفكرية والعلمية والاجتماعية...، ويمكن القول: إن المعجم قائمةٌ من المداخلِ المعجمية التي تصنِّف بشكل أو بآخر تجاربَ المجتمع، باعتباره موضوعًا متسلسل الأفكار، يعبر عن فكر المعجميِّ والمنهج الذي اتخذه في ترتيبه أو توضيحه أو تفسيره. كما يُمثِّل "المعجم" مرجعًا يشتملُ على مصطلحاتِ علمٍ ما، مرتبة ترتيبًا خاصًّا، مع تعريف كل كلمة، أو ذِكرِ مرادفها أو نظيرها في لغة أخرى، أو بيان اشتقاقها أو استعمالها، أو معانيها المتعدِّدة. وقد يكون المعجم أحاديَّ اللغة، أو ثنائي اللغة، أو متعدد اللغات، وقد يكون عامًّا أو متخصصًا، وقد يكون وصفيًّا أو تاريخيًّا أو مِعياريًّا، وقد يكون معجم مفردات أو مصطلحات، كما قد يكون معجمَ مترادفات أو ترجمات أو تعاريف، وقد يكون معجمًا كَميًّا مرتبًا حسب حروف الهجاء، أو مخارج الحروف، أو معنويًّا مرتبًا حسب المعاني. ولقد سُمِّيت "المعاجم" باسم "القواميس"، ولا بد من التمييز بينهما، على اعتبار أن هناك نوعًا مِن العَلاقة بين مصطلح "معجم" ومصطلح "قاموس"، ويتمثَّل ذلك في كون المصطلحينِ كثيرًا ما يتم الخلط بينهما، فقد جاء في "لسان العرب" ما يلي: " قمس الرجل في الماء: إذا غاب فيه، وقَمَسَتِ الدَّلْوُ في الماء إذا غابت فيه...، القاموس: البحر العظيم، وكل معجم لُغَوي يدل على التوسع يقال له: قاموس". ، وكلمة قاموس تَعنِي وسط البحر أو معظمه، لتعني أخيرًا كل كتاب لُغَوي يحتوي على طائفةٍ من الكلمات المرتَّبة والمشروحة؛ ولهذا فمِن الضروري الفصلُ بين المصطلحين "المعجم والقاموس"؛ لأن القاموس يُستعمل للدلالة على كتاب أو تأليف له هدفٌ تربوي وثقافي، يجمع بين دفَّتَيْه قائمةً من الوحدات المعجمية التي تحقق وجودها بالفعل في لسان من الألسنة، ويخضعها لترتيب وشرح معين، أما مصطلح "معجم"، فهو أنسب للدلالة على المجموع المفترض واللامحدود من الوحدات المعجمية التي تمتلكها جماعة لُغَوية معيَّنة بكامل أفرادها، بفعل القدرة التوليدية الهائلة للغة.[١٣٧]

[١٣٧] ينظر: ابن منظور؛ لسان العرب، مادة قمس.

الفصاحة ونشأة المعجم العربي:

الفصاحة لغة: خلوُّ الشيء مما يشوبُه، وأصله في اللبن، يقال: فصُح اللبن، إذا ذهب عنه اللِّبَأُ؛ أي: الرغوة التي تُغطِّي سطحه، وأفصح الأعجميُّ بالعربية، وفصح لسانه بها: إذا خلصت لغتُه من اللُّكنة، وأفصح الصبح: إذا أضاء؛ يقال: أفصح الصبي في منطقه: إذا بان وظهر كلامه.[١٣٨].

فالمعنى اللُّغوي للفصاحة هو البيان والوضوح، فكل ما كان بيِّنًا واضحًا فهو فصيح، سواء أكان كلامًا أم غيره، يقول تعالى: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾[١٣٩] ؛ أي: أَبْيَنُ مني قولًا.[١٤٠]

المعاني الاصطلاحية للفصاحة:

الفصيحُ مِن الألفاظ عبارةٌ عن الألفاظ البيِّنة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتَّاب والشعراء؛ لمكان حسنها، وهي تقع وصفًا للكلمة، والكلام، والمتكلم، حسَب استعمال الكاتب للفظةِ وحدَها، أو مسبوكة مع أخواتها[١٤١]. فالفصاحة اللُّغوية عند النُّحاة واللُّغويين العرب القدماء تعني السليقة؛ أي: التكلُّم باللغة دون تعلُّم، والفصاحة والسليقة والمَلَكة: مصطلحاتٌ استعملها النُّحاة العرب القدماء، و هي عندهم على معنًى واحد في مَيدان الدراسات اللُّغوية، وتعنِي تعلُّمَ اللغة من المحيط في الصغر دون معلِّم، وهي مقابلةٌ للَّحن الذي فشا على ألسنة المولَّدين، ولم تَزَلِ العربُ في جاهليتها وصدرٍ من إسلامها تبرَعُ في نطقِها بالسجية، وتتكلم على السليقة، حتى فتحت المدائن، فوقع الخلل في الكلام، وبدا اللحن على ألسنة العوام. والكلام الفصيحُ ما كان واضحَ المعنى، سهلَ اللفظ، جيِّدَ السَّبك؛ ولهذا

---

[١٣٨] ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص١٩.

[١٣٩] القصص، آية ٣٤.

[١٤٠] ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين (١٩٩٩)، البلاغة الواضحة: البيان والمعاني والبديع، دار المعارف ص٥.

[١٤١] ينظر أحمد الهاشمي؛ جواهر البلاغة في المعاني والبديع، ص١٩

وجب أن تكون كلُّ كلمة فيه جاريةً على القياس الصرفي، بيِّنةً في معناها، مفهومةً عذبة سلسة.

وإنما تكون الكلمةُ كذلك إذا كانَتْ مألوفة الاستعمال بين النابِهين من الكتَّاب والشعراء؛ لأنها لم تتداوَلْها ألسنتُهم، ولم تَجْرِ بها أقلامُهم، إلا لمكانِها مِن الحسن باستكمالها جميع ما تقدَّم من نعوت الجودة وصفات الجمال.

والذوقُ السليم هو العمدةُ في معرفةِ حسن الكلمات وسلاستها، وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه؛ لأن الألفاظَ أصواتٌ، فالذي يطرب لصوت البلبل، وينفرُ من أصوات البوم والغربان، ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبةً متنافرة الحروف، ألا ترى أن كلمتَي (المُزنة) و(الدِّيمة) للسحابة الممطرة، كلتاهما سهلة عذبة يسكن إليها السمع، بخلاف كلمة (البُعاق) التي في معناهما؛ فإنها قبيحةٌ تصُكُّ الآذان، وأمثال ذلك كثير في مفردات اللغة، تستطيع أن تدركه بذوقك".[١٤٢].

ويشترط في فصاحة التركيبِ – فوقَ جريان كلماته على القياس الصحيح وسهولتها – أن يسلَمَ من ضَعف التأليف، وهو خروجُ الكلام عن قواعد اللغة المطَّردة؛ كرجوع الضمير على متأخر لفظًا ورُتبةً، كما يشترط أن يسلم التركيب من تنافر الكلمات المؤدِّي للثقل في السمع، وصعوبة أدائها باللسان؛ كقول شاعر (من الرجز):

وقَبْرُ حربٍ بمكانٍ قَفْرٍ *** وليس قُرْبَ قبرِ حربٍ قَبْرُ

فمع أن كل كلمة منه لو أُخذت وحدَها كانت غيرَ مستكرَهة ولا ثقيلة، لكن اجتماع كلماته وقُرب مخارج حروفها، يُحدِثانِ ثقلًا ظاهرًا.

ويجب أن يَسلَمَ التركيبُ من التعقيد اللفظي، وهو أن يكون الكلامُ خفيَّ الدلالة على المعنى المراد بسبب تأخير الكلمات أو تقديمها عن مواطنها الأصلية، أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض، فإذا قلت: (ما قرأ إلا

[١٤٢] البلاغة الواضحة، ص ٥.

واحدًا محمدٌ مع كتابًا أخيه)، كان هذا الكلام غير فصيح لضعف تأليفه؛ إذ أصله: (ما قرأ محمدٌ مع أخيه إلا كتابًا واحدًا)، فقدِّمت الصفة على الموصوف، وفُصل بين المتلازمين، وهما أداة الاستثناء والمستثنى، والمضاف والمضاف إليه.

ويجب أن يسلم التركيب من التعقيدِ المعنويِّ، وهو أن يعمدَ المتكلِّم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات في غير معانيها الحقيقية، فيُسِيء اختيار الكلمات للمعنى الذي يريده، فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع؛ مثال ذلك أن كلمة (اللسان) تُطلق أحيانًا ويُراد بها اللغة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾[١٤٣] ؛ أي: ناطقًا بلغة قومه، وهذا استعمالٌ صحيح فصيح، فإذا استعمل إنسانٌ هذه الكلمة في الجاسوس، وقال: (بثَّ الحاكمُ ألسنتَه في المدينة)، كان مخطئًا، وكان في كلامه تعقيدٌ معنويٌّ.[١٤٤].

الفصاحة والجنس العربي:

مِن المزاعم أن الفصاحة – أو ما يسمى بالسليقة – كان لها عند القدماء ارتباطٌ وثيق بالجنس العربي؛ ولذا كان يُعتَقد أن غير العربي لا يُمكِنه تعلُّم العربية، ولو وُلِد ونشأ في بيئة عربية، وإلى هذا المعنى يُشير إبراهيم أنيس – بعد أن عرَّف السليقة عند المحدثين – بقوله: إن الأقدمين مِن علماء العربية قد سيطَرَتْ عليهم فكرةٌ أخرى، ورأَوا أمر الكلام بالعربية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجنس العربي؛ ولذا يُنكِرون على الفارسي أو اليوناني إمكانَ إتقان هذه اللغة كما يُتقِنها أهلها من العرب، كأن هناك أمرًا سِحريًّا يمتزج بدماء العرب، ويختلط برمالهم وخيامهم، وهو سرُّ السليقة العربية، يورثه العرب لأطفالهم، وتُرضِعه الأمهات لأطفالهن في الألبان؛ ولذا لم يتورَّع الرواة في الأخذ عن صبيان العرب والرواية عنهم.[١٤٥]

---

[١٤٣] إبراهيم، آية ٤.

[١٤٤] البلاغة الواضحة، ص ٦، ٧.

[١٤٥] ينظر: إبراهيم أنيس (١٩٧٨)؛ من أسرار اللغة العربية، ط ٦، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٣٦ - ٣٧.

وكيف يمكن للعلماء العرب أن يقولوا بأن الفصاحة طبعٌ عند العربي وهم يُشاهِدون مِن حولهم أعاجم قد صاروا فصحاء، وعربًا يَلحَنون في كلامهم؟ فلو كانوا يعتقدون أن الفصاحة للعرب بالطبع، لحددوها بالجنس العربي، فكل مَن كان عربيًّا فهو فصيح، ولو عاش وسط الأعاجم، ولكن تحديدهم لرقعة الفصاحة لم يكن على هذا الأساس، بل أبعدوا قبائل كثيرةً بحجَّة التأثر بغيرِها من الأمم المحيطة بها.

فالفصاحة عادةٌ لا أكثر ولا أقل، كما هو ثابت عند ابن جِنِّي؛ أي: إن السليقة اكتسابٌ وتعوُّد، ولو أنها كانت في نظره طبعًا أو سجيةً – أو (نحيزة) كما كانوا يقولون – لَما جعل ابن جني في أبواب خصائصه بابًا عنوانه (باب العربي الفصيح ينتقل لسانه)، والانتقال في نظره إما أن يكون إلى لغةٍ أخرى فصيحة أو فاسدة؛ فإذا كان الانتقال إلى لغة فصيحة جرى الاحتجاج بكلامِه بها، وإن كان إلى لغةٍ فاسدة لم يحتجَّ بكلامه.[١٤٦].

الفصاحة والأعراب:

كل ما يمكن أن نقوله في هذا المجال هو أن العرب – بدوهم وحضرهم – كانوا أمةَ الكلام والخطابة والشِّعر، والتاريخُ يُحدِّثنا أنهم كانوا يهتمون أشد الاهتمام بالشعر وبالكلام عامةً، وكانوا جميعًا في مستوًى متقاربٍ من التذوق وفهم الشعر والخطابة؛ فالفصحى التي نقضي نحن السنين الطِّوالَ في تعلمها كانت لغةَ المنشأ عندهم، والشعر وأنواع الأدب عندهم كانت تعبِّر عن حياتهم اليومية، وكان يفهمها العامة والخاصة، فالشعر عندهم – وهو بالفصحى عندنا اليوم – كان أشبهَ ما يكون بالشعر الشعبي الذي يقال باللهجات العامية.

ارتبطت الفصاحةُ عند القدماء ارتباطًا وثيقًا بالأعراب وبالبادية، حتى بدا للكثيرِ من الدارسين المحدَثين أن النُّحاة العرب كانوا يربِطون الفصاحة بالأَعراب لا لشيء إلا لأنهم أعرابٌ.

[١٤٦] ينظر: تمام حسان (١٩٨٠ - ١٤٠٠)؛ اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء مطبعة النجاح الجديدة، ص٧٨.

وهناك جوابٌ آخر للتساؤل عن سبب ربط الفصاحة بالبداوة، نجده عند القدماء، يقول ابن جني في الخصائص: "بابٌ في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أُخذ عن أهل الوبر":

"علةُ امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل، ولو عُلم أن أهل قريةٍ باقون على فصاحتِهم، ولم يعترض شيءٌ من الفساد للغتِهم، لوَجَب الأخذ عنهم كما يُؤخَذ عن أهل الوبر، وكذلك أيضًا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغةِ أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها، لوجَب رفض لغتها وترك تلقِّي ما يَرِدُ عنها، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا؛ لأنَّا لا نكاد نرى بدويًّا فصيحًا، وإن نحن آنَسْنا منه فصاحةً في كلامه، لم نكد نعدِمُ ما يُفسِد ذلك ويقدح فيه، وينال ويَغُضُّ منه".[١٤٧].

أما ربط النُّحاة واللُّغويين الفصاحةَ بالجنس العربي، فلا أساسَ له من الصحة؛ إذ لم نجد نَحْويًّا واحدًا ربط الفصاحة بالجنس العربي، بل ربَطوها بالمنشأ اللُّغوي، وقد وجدناهم أخذوا عن الكثير من العَبيد السُّود.

وبالجملة، فمنهج النحاة العرب القدماء منهجٌ علمي تؤيده المناهج اللسانية الحديثة التي تُعنَى بما يسمى بالمدوَّنة المغلقة.

أسباب تأليف المعاجم وفوائدها:

• العناية بفهمِ آيات القرآن الكريم، من خلال تفسير آياته، بمراجعة المؤلَّفات في غريب القرآن، من خلال تفسير الألفاظ العربية في القرآن وتوضيح معناها، مع ذكر الشواهد الشِّعرية فيها.

• تفسيرُ الألفاظ العربية الواردة في الأحاديث المرويَّة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين.

[١٤٧] الخصائص، عثمان بن جني، أبو الفتح، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القسم الأدبي، المكتبة العلمية، ج٢ ص٥.

• معرفةُ المراد بألفاظ بعض الفقهاء في المُتُون، وربطها بالتعريفات الاصطلاحية عندهم، وذلك من خلال المؤلَّفات الخاصة بغريب ألفاظ الفقهاء.

• فهم مفرداتِ القصائد الشِّعرية العربية والقِطَع النثرية؛ لتدوين اللغة العربية خشيةَ ضياع شيء من مفرداتها، لا سيما في حياة فصحائها.

• ضبط الكلمات، ومعرفة نطقها الصحيح.

• بيان أصل الكلمة واشتقاقاتها وتصريفاتها، وجموعها ومصادرها، وتاريخها وتطورها، واختلاف استعمالها.

• تحديد أماكن بعض المواقع الجغرافية والمدن التاريخية.

• حفظ كمٍّ هائل من الشواهد الشِّعرية، من خلال جمع أشعار بعض الصحابة.

• اكتساب ثروة لُغوية كبرى، لا سيما عند تعدُّد مدلولات الكلمة واختلاف معانيها.[١٤٨].

نشأة المعجم العربي:

يعدُّ التأليف في غريب القرآن النواةَ الأولى لتأليف المعاجم، وقد عُرِف عن ابن عباس رضي الله عنه اهتمامَه بتفسير الألفاظ الغريبة في القرآن، وتوضيح معناها، وذكره لبعض الشواهد الشِّعرية، وقد ألَّف بعدَه عددٌ من العلماء في هذا المجال؛ حيث الاقتصار على الألفاظ الغريبة، وذكر بعض الأشعار المؤيِّدة لمعناها.

وقد جرى جمع ألفاظ اللغة العربية على مراحل ثلاث:

[١٤٨] ينظر: أحمد بن عبدالله الباتلي (١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م)؛ المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ص١٣، وينظر: عبدالقادر أبو شريفة، حسن لافي، وداود غطاشة، (١٩٨٩)؛ علم الدلالة والمعجم العربي، دار الفكر، عمان، ص١١٤.

المرحلة الأولى: عرَفت هذه المرحلة تدوينَ ألفاظ اللغة وتفسيرها بدون ترتيب، وقد جرى هذا الجمعُ بفضلِ ارتباط الرواة والعلماء منذ أواخر القرن الهجري الأول، وكان السماع عن الأعراب من المصادرِ الأساسية التي اعتمدها الرواة في جمع اللغة، ويعدُّ "كتاب النوادر في اللغة" لأبي زيدٍ الأنصاري، من أفضل الكتب اللُّغوية التي تُمثِّل هذه المرحلة؛ ذلك أن المؤلف يُورِد فيه النصوص الشِّعرية والنثرية الغريبة، فيشرحها ويعلق عليها من غير ترتيب.

المرحلة الثانية: وهي مرحلةُ تدوين اللغة مرتبةً في رسائل متفرقة صغيرة محدودة الموضوع، مبنيَّة على معنى من المعاني، أو على حرف من الحروف؛ مثل كتاب المطر لأبي زيد الأنصاري، وللأصمعي كتب؛ منها: كتاب الإبل والخيل، وكتاب أسماء الوحوش وصفاتها، وكتاب النخل والكرم، وكتاب النبات والشجر.

وهناك رسائل أخرى جُمعت فيها ألفاظ اللغة دون مراعاةِ معانيها، وهي تجمع اسم الحرف الذي يجمع بين هذه الأصول، فيقال: كتاب الخاء، وكتاب الجيم، ومِن أشهر ما وصل إلينا من رسائل هذا النوع كتابُ الهمز لأبي زيد الأنصاري، وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني.

وهناك رسائل أخرى جُمِعت فيها الألفاظ التي تربط بينها رابطةٌ أخرى غير رابطة المعاني أو الحروف؛ مثل الكتب التي أُلِّفت في الأضداد؛ مثل "الجون" الذي يطلق على الأسود والأبيض، والفعل "شرى" الذي يدل على البيع والشراء.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلةُ وضعِ المعاجم العامَّة الشاملة المنظمة، وأول مَن وضع المعجم هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، وكان الهدفُ الأساسي من هذا كلِّه هو خدمةَ القرآن ونصوص التشريع، وصون اللغة من الخطأ، وحفظها من الضياع.[١٤٩].

[١٤٩] ينظر: عبدالقادر أبو شريفة، حسن لافي، وداود غطاشة؛ علم الدلالة والمعجم العربي، ص١١٦ - ١١٧.

وتعتبر قضية الترتيبِ من أهم القضايا التي عرَفها تاريخ القاموس العربي القديم؛ إذ هو الطريقةُ أو المنهج الذي يتبعه صانعُ المعجَم لتنظيم الثروة اللفظية المختارة من الكلمات والتعابير الاصطلاحية والسياقية، وعرضها في المعجم، بحيث يستطيع القارئ العثور على مرادِه بكل سرعة ويسرٍ.

ويعتبر المعجَميون العرب من السبَّاقين إليه، حتى أصبح اختصاصًا على يدهم دون غيرهم، ونهجًا يُقتَدى من النحاة والمعجميين، على الرغم من افتراض كون الأمم الأخرى – مثل الآشوريين، والصينيين، واليونان – لهم اهتمامٌ باللغة؛ فالآشوريون اهتمُّوا باللغة ومفرداتها وقواعدها، وعرَفوا المعاجم قبل العرب، فقد ابتكَروا معاجم خاصة بلغتهم ذات ترتيب يُغاير ما عُرِف عند العرب من ترتيب، فتركوا نظام الكتابة الترميزية القديمة، واستبدلوا بها نظام الإشارات المقطعية أو الألفبائية.

مصادر التأليف المعجمي العربي:

القرآن الكريم والقراءات القرآنية:

ألفاظ القرآن الكريم هي لبُّ كلام العرب وزُبْدته، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء، والفرقانُ العزيز الذي نزل بلسان عربي مبينٍ في أعلى درجات الفصاحة، فكانت أمةُ العرب في أمسِّ الحاجة إليه؛ إذ استَشْهَدوا به في كثيرٍ من المواطن، وقبِلوا كلَّ ما جاء فيه، وحقيقة الكتاب أنه (ما نقل إلينا بين دفتَي المصحف بالأحرف السبعة المشهورة نقلًا متوترًا). والقراءاتُ القرآنية هي الوجوهُ المختلفة التي سمَح النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقراءةِ نصِّ المصحف بها قصدًا للتيسير، والتي جاءت وَفْقًا للهجة من اللهجات العربية.

الحديث النبوي:

وهو المصدر الثاني بعد القرآن، ويعدُّ استعماله مصدرًا في تأليف المعجم، فهو مندرِجٌ لذلك في اللغة التي يتكلَّمها الناس، والغايةُ الأساسية من استعمال الحديث هي الاستشهاد، والمشهور بين المتأخِّرين أن القُدامى لم يستشهدوا بالحديث، فبنَوا عليه أنهم يرفضون الاستشهاد به، فلا يستندون إليه في إثبات ألفاظ اللغة، أو وضع قواعدها، ثم حاولوا تعليل ذلك.[١٥٠]

وقد أجمل عمر أسبابًا كثيرةً تحمل الشك في صحة ما نُسب إلى الأقدمين مِن رفضهم الاستشهاد بالحديث؛ ومن ذلك:

أن الأحاديث أصح سندًا مِن كثير مما يُنقَل من أشعار العرب، ثم إن مِن المحدِّثين مَن ذهب إلى أنه لا تجوز الرواية بالمعنى إلا لمن أحاط بجميع دقائق اللغة. [١٥١]، وقد حاول المتأخِّرون أن يُعلِّلوا هذا الرفض المزعوم، وانتهوا إلى أنه يرجع لسببين: الأول: أن الرواة جوَّزوا النقل بالمعنى. الثاني: أنه وقع اللحن كثيرًا فيما روي من الحديث؛ لأن كثيرًا من الرواة كانوا غير عربٍ بالطبع.[١٥٢]

المأثور من كلام العرب:

ويشمل شِعرَ العرب وأمثالَهم وحِكَمَهم وأقوالهم السائرة؛ فقد لقي الشعر اهتمامًا كبيرًا من اللُّغويين، واعتبروه الدِّعامة الأُولى لهم، حتى لقد تخصَّصت كلمة الشاهد فيما بعد وأصبحت مقصورة على الشِّعرِ فقط؛ ولذلك نجد كتبَ الشواهد لا تحوي غير الشِّعر، ولا تهتم بما عداه، وقد اعتمد الخليل في كتابه (العين) على شعرٍ كثير، اعتمد فيه على شعراء منهم الجاهلي ومنهم الإسلامي، أما الشواهد النثرية، فتشتمل الشواهد النثرية على نوعين من المادة:

---

[١٥٠] ينظر: أحمد مختار عمر (١٩٨٨)؛ البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، الطبعة السادسة، عالم الكتب، القاهرة. ص ٣٥.

[١٥١] السابق، ص ٣٦.

[١٥٢] السابق، ٣٩.

أحدهما: ما جاء في شكلِ خُطبة أو وصيَّة أو مَثَل أو حكمة أو نادرة، وهذا يعدُّ مِن آداب العرب الهامة، ويأخذ في الاستشهاد به مكانةَ الشعر وشروطَه.

وثانيهما: ما نُقِل عن بعض الأعراب ومَن يُستَشهَد بكلامِهم في حديثهم العادي، دون أن يتحقق له من التأنق والذيوع مثل ما تحقق للأول، وقد وضع اللُّغويون الزمانَ، فقد حدَّدوا نهاية المدة التي يستشهد بها بآخرِ القرن الثاني الهجري بالنسبة لعرب الأمصار، وآخِرِ القرن الرابع بالنسبة لعرب البادية، وأما المكان، فقد ربَطوه بفكرةِ البداوة والحضارة، فكلما كانت القبيلةُ بدويةً أو أقرب إلى الحياة البدوية، كانت لغتُها أفصحَ، والثقة فيها أكثر، وكلما كانت متحضِّرةً أو أقرب إلى حياة الحضارة، كانت لغتُها محلَّ شكٍّ، ومثارَ شبهة؛ ولذلك تجنَّبوا الأخذ عنها، وفكرتُهم أن الانعزال في كَبِد الصحراء وعدم الاتصال بالأجناس الأجنبية يحفظ للغة نقاوتَها، ويصونها عن أي مؤثرٍ خارجي، وأن الاختلاط يُفسِد اللغة وينحرف بالألسنة.[١٥٣]

الكشف عن معاني الألفاظ في المعاجم:

تختلفُ المعاجم في طرقِ ترتيبها وتبويبها، غير أن هناك أمورًا عامة لا بد من مراعاتها قبل الكشف عن معنى الكلمة في المعجم؛ وهي:

١- الكلمة المجرَّدة يمكن البحث عنها مباشرة؛ مثل: كتب، قرأ، درس.

٢- الكلمة المزيدة تُجرَّد من حروف الزيادة وتُرَد إلى أصلها؛ مثل: استعجم، الذي نُبقِي منه الجذر الثلاثي (عجم).

٣- الجموع تُرَد إلى مفرداتها، ثم يُجرَّد المفرد إن كان مزيدًا؛ مثل كلمة (متعلمين)، فإن مفردَها (متعلم)، وعند تجريدها من حروف الزيادة يبقى الجذر (علم).

٤- الأفعال المضارعة وأفعال الأمر تردُّ إلى ماضيها، ثم يُجرَّد الماضي إن كان مزيدًا؛ مثل: (يكتبون) تردُّ إلى (كتبوا)، ثم تجرَّد فيبقى الجذر الثلاثي (كتب).

---

[١٥٣] السابق، ص ٥٠، ٥١.

٥- الكلمة التي يوجد فيها حرفٌ غيرُ أصليٍّ يُرَدُّ إلى أصله؛ مثل: (سما)، فالألف فيها منقلبة عن واو، وعندما تُرَد إلى أصلها تصبح (سَمَوَ).

٦- الكلمات المشدَّدة نفكُّ تشديدها؛ مثل: (مَدَّ)، يُفَكُّ تشديدها فتصبح (مدد).[١٥٤]

أسس تصنيف المدارس المعجمية:

المعاجم اللغوية نوعان:

النوع الأول: يعالج اللفظة، شارحًا مدلولها وجميعَ ما يتصل بها، ويتخذ لها منهجًا خاصًّا في ترتيب الألفاظ، وهذا النوعُ من المعاجم يسمى معاجم الألفاظ؛ ومنها: معجم العين للخليل بن أحمد، والصَّحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور، وأساس البلاغة للزمخشري.

النوع الثاني: يجمع الألفاظ التي تدور حول معنى واحد أو موضوع واحد، ويسمَّى معجم المعاني أو معجم الموضوعات؛ ومنها: كتاب فقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سِيدَه.[١٥٥]

ويمكن أن نحصرَ قضية الترتيب في المدارس الآتية التي تتأسس على معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني:

١/٧ المدرسة الصوتية:

وهي تتبع الترتيب بحسبِ الحروف الحَلْقية ومقلوبات الكلمة؛ حيث يُعدُّ الإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) في كتابِه العينِ أوَّلَ مَن ألف على هذه الطريقة؛ فقد رتب الحروف الحلقية، بَدْءًا بالأبعد في الحلق، منتهيًا بما يخرج من الشفتين:

الحروف الحلقية (ع / ح / هـ / خ / غ). ثم اللَّهوية (ق/ ك). ثم الشَّجريَّة (ج / ش / ض).

فالأسَليَّة (ص / س / ز). فالنِّطَعيَّة (ط / د / ت). فاللثويَّة (ظ / ذ / ث).

---

[١٥٤] علم الدلالة والمعجم العربي، ١١٦.

[١٥٥] السابق، ص ١١٥، ١١٦.

فالذلقيَّة (ر / ل / ن – ف / ب / م). فالهوائيَّة (و / ا / ي).[١٥٦]

فسمَّى كل حرفٍ كتابًا؛ حيث يبدأ بكتاب العين، وإليه تُنسب تسمية الكتاب، على عادةٍ درج عليها العرب؛ كتسمية سور القرآن الكريم حسب أوَّلِها.

وقد قسَّم الخليل الألفاظَ إلى ثنائيٍّ وثلاثي ورباعي وخماسي فقط.

أما كيفية التقاليب، فعلى الشكل الآتي:

الكلمة الثنائية يُمكِن أن تقلَّب مرتين، فحرفها الأول يكون ثانيًا، والثاني أولًا؛ كـ: بر تقلب إلى رب. الكلمة الثلاثية يمكن قلبُها إلى ست صور؛ كـ: حبر؛ حيث تقلب إلى: برح، ورحب، وبحر، وربح، وحرب. الكلمة الرباعية صور قلبها ترتفع إلى أربع وعشرين صورة. بينما تصل الخماسية إلى مائة وعشرين صورة.

ومن المؤلَّفات المرتَّبة على الحروف الحلقية ومقلوباتها:

البارع في اللغة؛ لأبي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦ هـ)، وتهذيب اللغة؛ للإمام أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، والمحيط في اللغة؛ للإمام الصاحب إسماعيل بن عباد الطالقاني (ت ٣٨٥ هـ)، والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة؛ للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سِيدَه الأندلسي(ت ٤٥٨ هـ).

المدرسة الهجائية:

حيث ترتب المواد حسب الحرف الأول؛ أي: تبعًا لترتيب الحروف الهجائية من الهمزة إلى الياء، وهي طريقةٌ شائعة؛ لسهولة مراجعة معاجمها وحفظ حروفها.

ومن المؤلفات على هذه الطريقة:

---

[١٥٦] السابق، ص ١١٩.

كتاب الجيم؛ لأبي عمرو بن إسحاق بن مرار الشيباني (ت ٢٠٦ هـ)، وقيل: إن المراد بالجيم في اللغة الديباج؛ فكأنه سماه به لحُسنِه، وجمهرة اللغة؛ لأبي بكر محمد بن الحسن بن دُرَيد الأزدي البصري (٣٢١ هـ)، ومعجم مقاييس اللغة ومجمل اللغة؛ لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، وأساس البلاغة؛ لأبي القاسم محمد ابن عمر بن محمد الخوارزمي، الملقب بجار الله الزمخشري (٥٣٨ هـ)، وهو معجم مختصر، اعتنى فيه بإيراد المعاني البلاغية للكلمة لا سيما المجاز، والاستشهاد عليها.

ومن المعاجم اللغوية الحديثة:

المعجم الوسيط: ألَّفه مجموعةٌ من أعضاء المجمع اللُّغوي بالقاهرة، وطُبع في مجلدين سنة (١٣٨٠ هـ)، ثم صدر في طبعة منقَّحة عام (١٣٩٢ هـ)، والمنجد في اللغة والأعلام؛ للويس معلوف (ت ١٩٤٦م)، والمعجم الوجيز في المصطلحات التربوية؛ تأليف ميرغني دفع الله أحمد.

المدرسة الأبجدية:

وترتب الكلمات حسب الحرف الأخير؛ مَثَلًا كلمة (كتب)، توجد في حرف الباء، وذلك لثبوت الحرف الأخير من الكلمة وتغير الحرف الأول تغيرًا كثيرًا عند التصريف والقلب، وهي طريقة تلائم الكتَّاب والشعراء؛ لاعتنائهم بالسجع والقوافي.

ومن أمثلة المؤلفات على هذه الطريقة:

-التقفية في اللغة؛ لأبي بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي (ت ٢٨٤ هـ)، وقد طبع ببغداد عام (١٣٩٦ هـ)، بتحقيق د/ خليل إبراهيم العطية، في مجلد واحد، مذيَّلًا بفهارس عديدة.

-تاج اللغة وصحاح العربية، أو (الصحاح)؛ للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ، أو ما بعدها)، ويعدُّ مِن أجود المعاجم وأنفعها، وقد شمِل أربعين ألف مادة لُغَوية.

-لسان العرب؛ للعلامة جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي (ت ٧١١ هـ)، والقاموس المحيط؛ للفيروزابادي (ت ٨١٧ هـ).[١٥٧].

وهذه المعاجم – أي معاجم الألفاظ – هي معاجم تشتمل على كل كلمات لغة ما، مرتبة ترتيبًا معينًا، مع تفسير معنى كلٍّ منها وذكر معلومات عنها، وتكون الكلمة مادتها الرئيسة، والمعاجم اللُّغوية قوامُها ألفاظ اللغة، فتشرحها وتُظهِر كيفية ورودها في الاستعمال، ولا تفيد إلا الباحثَ الذي يتوفر على اللفظ دون المعنى.

المدرسة الموضوعاتية أو (معاجم المعاني):

يقصد بها الكتبُ المؤلَّفة في جمع الألفاظ حسب موضوعها أو معناها، فمَن ابتغى معرفةَ لفظةٍ، فعليه أن يعرف موضوعها، وهل هي تندرج فيما يتعلَّق بخلق الإنسان، أو السلاح، أو الحيوان، أو الطعام، أو الشراب، أو اللباس، أو نحو ذلك مما له عَلاقة بحياة العرب، وهي نوعان:

١- إفراد موضوع واحد بمؤلَّف مستقلٍّ، فكان العلماء قديمًا يُفرِدون أحدَ الموضوعات بكتاب مستقلٍّ يتناولون فيه ذلك الموضوع وحدَه (أسماءه، ألوانه، أجزاءه، أطواره، أمراضه)، مع الاستدلال على ذلك ببعضِ ما ورد من الآيات والأحاديث، والأشعار وأقوال الفصحاء، والأمثال والأخبار، ومن أمثلة هذا النوع:

خلق الإنسان؛ للإمام الأصمعي (ت ٢١٦ هـ)، كتاب الإبل وكتاب السلاح؛ للأصمعي، وكتاب الخيل؛ لأبي عُبيدة مَعْمَر بن المثنَّى (ت ٢١٠ هـ).

٢- معاجم الموضوعات (المعاني):

تطوَّر التأليف بعد ذلك ليشمل جمعَ عددٍ من الموضوعات في معاجم موسَّعة، تُدْعَى معاجم الموضوعات أو معاجم الصفات؛ لكونها تتناول صفات الأشياء وتتكلَّم عنها بدقة؛ وذلك ككتب: (صفة خلق الإنسان، أو الفرس، أو الإبل، أو الخيل...)؛

[١٥٧] ينظر: أحمد بن عبدالله الباتلي؛ المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، ص ١٧ وما بعدها.

فالهدفُ هو تصنيف الألفاظ داخل مجموعاتٍ موضوعية وَفْقَ معانيها المتشابِهة، ويلحق بها مؤلَّفات غريب الفقه المرتبة حسب الموضوعات الفقهية، فمن أراد لفظةً فعليه معرفةُ بابها، ومن أمثلة هذا النوع:

أحمد بن فارس الرازي في كتابه "متخير الألفاظ" (ت ٣٩٥ هـ)، والثعالبي في كتابه "فقه اللغة وسر العربية" (ت ٤٢٩ هـ)، وابن سِيدَه الأندلسي في كتابه "المخصَّص" (ت ٤٥٨ هـ).[١٥٨].

المعجمات التي رتبت أصول الألفاظ على الترتيب الهجائي وراعت أوائل الأصول:

١-جمهرة اللغة لابن دريد (٣٢١هـ)[١٥٩]:

فابن دريد في الجمهرة سار بمنهج الخليل نحو التبسيط، إلاّ أنه لم يقطع شوطاً بعيداً في ذلك، ففي مقدمته أشار إلى من تقدّمه، ثم ذكر الخليل مُتلطّفاً، فقال: "وقد ألّف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي رضوان الله عليه كتاب العين، فأتعب من تصدى لغايته، وعَنّى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف، وكلُّ ما بعده له تَبَعٌ، أقرّ بذلك أم جحدَ. ولكنه رحمه الله ألف كتابه مُشكِلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته، وحدّة أذهان أهل عصره"[١٦٠].

فهو يعترف بالفضل والسّبْق للخليل بن أحمد، ويشير إلى احتذاء منهجه، ولكنه يتلطف في ذكر ما في الكتاب من إشكال، يسنده إلى ذكاء الخليل وحدة أذهان تلامذته، وكأنه يشير بذلك الإشكال إلى تصنيف "العين" بحسب مخارج الحروف، ولهذا يقول في مقدمة الجمهرة أيضاً: "وأملينا هذا الكتاب.. فسهّلْنا وعره.. وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة، إذ كانت بالقلوب أعْبَق[١٦١]، وفي الأسماع أنفذ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة، وطالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة، مُشْفياً[١٦٢]

---

[١٥٨] السابق، ١٦٩، وما بعدها.

[١٥٩] هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ).

[١٦٠] مقدمة الجمهرة ٣/١.

[١٦١] عَبِقَ به عَبَقاً: لزمه، وريحٌ عَبِقٌ: لاصق، ورجلٌ عَبِقٌ: إذا تطَيّب وتعلّق به الطيب فلا يذهب عنه ريحه أياماً.

[١٦٢] أَشْفَى على الشيء: أَشْرَف عليه.

على المراد.."[١٦٣]. فابن دريد تخلى عن التصنيف بحسب مخارج الحروف، واتخذ منهجاً أسهل في رأيه، وهو التصنيف بحسب الترتيب الهجائي، ولا شك أن هذا يمثل خطوة هامة من التطور نحو التبسيط في تأليف المعجمات، ولا سيما أنه زاد من ذلك في مراعاته مبدئياً أوائل الأصول لا أواخرها، ولكن ابن دريد أبقى على مظاهر التعقيد الأخرى التي كانت في منهج الخليل إذ احتفظ بما كان عند الخليل من تقسيم ألفاظ اللغة إلى أبواب الثنائي والثلاثي والرباعي.. الخ، واحتفظ أيضاً بتقليب الأصل الواحد على وجوهه المختلفة حسب الاشتقاق الكبير، واتفق مع الخليل أيضاً بأنه لا يذكر بعد الحرف إلاّ الحرف الذي يليه حتى لا يقع تكرار في تصنيف الألفاظ.

وبذلك أبقى ابن دريد على أمور جوهرية هامة في منهج الخليل، ولا سيما أنه لم يقف في تقسيم الكتاب على الثنائي والثلاثي والرباعي وما فوق الرباعي فقط، وإنما جعل يقسم كلاّ منها إلى أبواب متشعبة أو متداخلة أو مضطربة أحياناً، مما يشكل على غير المتمرس الاهتداء إلى موضع ضالته من كلمة يبحث عن معناها أو مبناها، وهذا يعني أن كتاب الجمهرة سار شوطاً نحو التبسيط في منهج التأليف، ولكن الأمر ما يزال بحاجة إلى جهود أخرى من علماء اللغة بحثاً عن طور آخر يزيل شيئاً من معالم التعقيد في المناهج السابقة.

٢- مجمل اللغة، ومقاييس اللغة، لابن فارس (٣٩٥هـ)[١٦٤]:

وكان لابن فارس أن يضيف تطويراً آخر يجعل منهج التصنيف أكثر سهولة ويسراً في معجميه المجمل والمقاييس، والمجمل كتاب مختصر، أما المقاييس فأكثر اتساعاً، وابن فارس صنف الكتابين على أسس واحدة، وكانت غايته منهما هي تبسيط المنهج الذي سار عليه من تقدمه في هذا المضمار، ولهذا نراه يخاطب قارئه في مقدمة المجمل فيقول: "فإنك لما أعلمتني رغبتك في الأدب، ومحبتك لعرفان كلام

[١٦٣] مقدمة الجمهرة ١: ٣.

[١٦٤] هو: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ).

العرب، وأنك شامَمْتَ الأصول الكبار، فراعك ما أبصْرتَهَ من بُعْد تناولها، وكثرة أبوابها وتشعب سبلها، وخشيتَ أن يلْفِتَكَ ذلك عن مرادك، وسألتني جَمْعَ كتاب يُذلِّل لك صعبه، ويسهل عليك وعره، أنشأتُ كتابي هذا.."[١٦٥].

وواضح أن ابن فارس يأخذ على من تقدّمه صعوبة طرائقهم وكثرة الأبواب وتشعبها، ولهذا أراد في كتابيه أن يتجه إلى منهج يمتاز بضم ما كان يتفرق في أبواب كثيرة متشعبة، وتصنيف أصول الألفاظ على نحو أيسر ترتيباً، وأسهل متناولاً.

ولهذا تخلى عن تقليب الكلمة بحسب الاشتقاق الكبير، فأزال التعقيد الذي كنا نراه في كتاب العين أو في كتاب الجمهرة، واقتصر على ترتيب الألفاظ بحسب أوائل أصولها، وبذلك أصبحنا نجد (ضرب) في باب الضاد، و(رمز) في باب الراء، في حين كنا في كتاب الجمهرة نبحث عن الأولى في (برض)، وعن الثانية في (رزم).

ولم يصنف اللغة على أبواب الثنائي والثلاثي والرباعي، كما فعل الخليل وسايره على ذلك ابن دريد، لأنه لاحظ أن هذه الطريقة تؤدي إلى التعقيد وتشتيت الأصول المتقاربة، إذ تصبح أمثال (أ بَّ، أتَّ..) في باب، و(أسَن، أسف..) في باب آخر، ولهذا قسم ابن فارس أصول اللغة على عدد حروف المعجم، وأفرد لكل حرف باباً خاصاً، فالكلمات التي تبدأ أصولها بالهمزة يصنفها في باب الهمزة، والتي تبدأ أصولها بالباء يذكرها في باب الباء، وهكذا..

وكل باب يجعله في ثلاثة أقسام متتالية، فيذكر أوّلاً المضعّف مثل (أبّ، أتَّ)، ثم ينتقل إلى الثلاثي فيقول مثلاً: "الهمزة والباء وما يثلثهما" و"الألف والتاء وما يثلثهما" و"الألف والثاء وما يثلثهما".. الخ، ثم يورد بعد الثلاثي ما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف. وبذلك نجد في الباب الواحد كلّ الألفاظ التي تبدأ بحرف واحد، إذ نجد في باب الباء من المجمل مثلاً "بَتَّ، بَثَّ.. بَتَر، بَتَع.. بلعوم، برشاع.."، وكنا في الجمهرة نجد هذه الألفاظ موزعة على أبواب متفرقة متباعدة.

---

[١٦٥] مقدمة المجمل، ٢.

على أن هذا المنهج الذي أراد التسهيل وحقق ما أراد، لم ينج من بعض رواسب المناهج السابقة، إذ بقي ابن فارس لا يذكر بعد الحرف إلاّ الحرف الذي يليه في الترتيب الهجائي، فإذا انتهى إلى آخر الحروف عاد إلى ما أسقطه من الأصول، ومثال ذلك ما أورده في باب "الباء والقاف وما يثلثهما" في المجمل، فهو يبدأ بـ "بقل، بقم، بقي"، وذلك لأن اللام تأتي مباشرة بعد القاف، وبعد أن انتهى إلى "بقي" عاد فذكر الأصول التي تقع حروفها قبل اللام فذكر "بقر، بقع"؛ لأن الراء والعين قبل اللام في الترتيب الهجائي. ووقع منهج ابن فارس في خلل آخر، إذ كان يُنْهي كلَّ باب بالألفاظ التي تقع في كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف، ولم يرتب هذه الألفاظ على نسق معين، وإنما كانت تُرْصَف دون أي ترتيب، وربما كانت قلتها هي التي صرفت ابن فارس عن مراعاة ترتيبها على نسق ما تقدمها في المضعف والثلاثي، ومع ذلك فهي سمة تعوق التيسير الذي أراده ولو كانت إعاقة يسيرة.

وبذلك ندرك أن ابن فارس قد سار فعلاً بتطوير منهج المعجمات إلى طور هام من التبسيط، ولكنه مع ذلك بقيت لديه رواسب طفيفة كانت تحتاج إلى من يحاول التخلص منها في معجمات أخرى، ليكون المنهج خِلْواً من كل تعقيد.

٣-أساس البلاغة للزمخشري(٥٣٨هـ)[١٦٦]:

تخلّى الزمخشري عن أمرين من منهج ابن فارس، إذ لم يقسم الفصل الواحد إلى ثنائي وثلاثي وما فوق الثلاثي، وإنما ذكر الألفاظ بترتيب أوائل الأصول مع مراعاة الترتيب نفسه في بقية حروف كل أصل، دون النظر إلى أنها ثنائية أو ثلاثية أو غير ذلك. ولم يلتزم بذكر الحرف ثم الحرف الذي يليه كما فعل ابن فارس، وإنما صنف الأبواب حسب الترتيب الهجائي بادئاً بأول الحروف في كل باب ومنتهياً بآخرها. وبذلك تحرَّر نهائياً من رواسب الجمهرة التي بقيت عند ابن فارس في كتابيه المجمل والمقاييس، وأصبحت طريقة الزمخشري في الأساس أسهل طريقة وأبسطها

[١٦٦] هو: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ).

فـي تصـنيف المعجمـات، بـل إن طريقتـه هـي الطريقـة المتبعـة اليـوم فـي تصـنيف المعجمات العربية الحديثة.

ولكن أساس البلاغة لـه خصائص يتفرد بها، لأن صاحبه قد أشار في مقدمته إلى أنـه قد بنـاه علـى أسس بلاغيـة حتـى يتعرف النـاظر فيـه المُتداوَلَ من ألفاظ العرب، والمستجادَ عندهم، ممـا يعينـه علـى إدراك مـا هو أَوْقَفُ علـى وجوه الإعجاز، وأعرَفُ بأسراره ولطائفه، ولهذا تفرد الأساس بخصائص هامة، أبرزها أنـه لا يشرح الكلمـة إلاّ نـادراً، وبـدلاً من ذلك يدخلها فـي جملـة أو عبـارة، أو مَثَل أو شـعر يُفْهَم معناها من سـياق اسـتعمالها، وهـي طريقـة فيهـا إبـداع، لأنهـا لا تشـرح الكلمـة مُجـرّدةً عـن الاستعمال، وإنما تشرحها ضمن استعمالها في كلام العرب، ولهذا استكثر الزمخشري فـي كتابـه من العبـارات البليغـة، والأقوال الفصـيحة، التـي "تَمْلُـح وتَحْسُن ولا تنقبض عنها الألسن" كما قال في المقدمة، وتخير من جيد الشعر ما يُعين علـى بيان دلالـة الألفاظ واستعمالها. وإضافة إلى هذا جعل يميز الحقيقة من المجاز؛ إذ يذكر المعاني الحقيقيـة التـي وُضِـعَتْ لهـا الألفـاظ، ثم يـذكر المعـاني المجازيـة لهـا، إن وَجَد للكلمـة استعمالاً مجازياً، ولا شك أن هذه مزية هامة في دراسة تطور الدلالة لألفاظ اللغة.

ولكن اهتمام الزمخشري بالجوانب البلاغية، جعله يتخلّى عن ألفاظ كثيرة، لأنها لا تحقق الغرض الذي أراده لكتابه. ومع هذه الخصائص التي تفرد بها "الأساس"، فقد أعطى الزمخشري المنهج الأسهل والأبسط، وهذا ما جعله يؤثر فيمن جاء بعده، إذ أغفلوا تلك الخصائص البلاغية وأخذوا بمنهجه في تصنيف اللغة، ومن أبرزهم الفيومي (٧٧٠هـ) في كتابه "المصباح المنير".

ما صنفت أصول الألفاظ على الترتيب الهجائي وراعت أواخر الأصول:

ومهما رأينا من تطوير لدى الزمخشري (٥٣٨هـ) في الأساس، فثمة من سبقه إلى ما رأيناه لديه من تيسير في التصنيف، وإبعاد له تماماً عن مناهج الخليل وابن دريد، إلاّ أنـه صَنَّف أصـول اللغـة بحسـب أواخرهـا، وهـذا مـا فعلـه الجـوهري (٣٩٣هـ) فـي

"الصحاح"، وربما كان الزمخشري قد تأثر به حين تخلى عن بعض الرواسب التي وجدناها في منهج ابن فارس. وبذلك يكون الجوهري إماماً لمرحلة ثالثة تخلّت عن منهج الخليل وابن دريد وما فيه من تعقيد، وسهّلت منهج التصنيف ولكنها أخذت بأواخر الأصول، وهو أمر لا يختلف كثيراً عن الأخذ بأوائلها.

والمعجمات التي صُنّفت في هذه المرحلة، ونَحَت في تصنيفها هذا النحو، قد اتبعت كلها منهج الجوهري في الصحاح، وإذا كان من اختلاف بينها فذاك في مدى الشمول والاتساع، أو الإيجاز والاختصار، لا في المنهج والطريقة، وإذا وقفنا على منهج الجوهري وتعرفناه، فذلك يعني أننا وقفنا على المنهج الأساسي لها جميعاً.

وإذا سألنا الجوهري عن منهجه في كتابه، رأيناه يوجز ذلك في مقدمته، فيقول: "أما بَعْدُ فإني أودعت هذا الكتاب ما صَحّ عندي من هذه اللغة، التي شَرّف الله منزلتها، وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها، على ترتيب لم أُسْبق إليه، وتهذيب لم أُغْلَب عليه، في ثمانية وعشرين باباً، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلاً، على عدد حروف المعجم وترتيبها.."(٢٦).

ومن الواضح أن الجواهري يرى في منهجه منهجاً جديداً لم يُسْبَق إليه، وهذا صحيح لأنه تخلى عن طرائق من تقدمه أو عاصره من أصحاب المعجمات، إذ رَتَّب أصول اللغة بحسب أواخرها على ثمانية وعشرين باباً بعدد حروف المعجم وترتيبها، أوّلها باب الهمزة، وآخرُها باب الواو والياء. ورّتب أصول الألفاظ داخل كل باب بمراعاة أوائلها، فقسم كلّ باب إلى ثمانية وعشرين فصلاً بعدد حروف المعجم وترتيبها(٢٧)، فالألفاظ التي تنتهي بالميم مثلاً وتبدأ بالهمزة ترد في "باب الميم فصل الهمزة"، والتي تنتهي بالميم وتبدأ بالباء ترد في "باب الميم فصل الباء"، وهكذا حتى ينتهي باب الميم بـ "باب الميم فصل الواو والياء".

وداخل الفصل الواحد يرتب أصول الألفاظ بمراعاة الحرف الثاني منها، فإن كانت رباعية الأصل، نظر إلى الحرف الأوّل والثاني لتعيين الأصل الثلاثي الذي سترد

بعده، ثم راعى الحرف الثالث لترتيبها إن كانت هنالك عدة أصول رباعية في هذا الموضع. ومثال ذلك (دِلْقِم) وهي العجوز أو الناقة المسنة، فهي ترد في (باب الميم فصل الدال) وترد مباشرة بعد (دلم)، وكذلك (عِظْلِم)، وهو صبغ أحمر، فهي في (باب الميم فصل العين) وترد بعد (عظم).

وطريقة الجوهري ليست من الصعوبة في شيء كما قد يتبادر إلى الذهن، وإنما هي سهلة ولا سيما بعد الاطلاع على منهج الكتاب، وإذا وقفنا على نصوص منه، لاحظنا أنه يجمع بين شرح معاني الألفاظ والاستشهاد عليها بكلام العرب شعره ونثره، ولكن حديثه يبقى موجزاً لا نجد فيه تطويلاً واستطراداً واسعاً كالذي نجده في اللسان أو التاج.

ولكن الجوهري عمل على إثبات ما صَحّ لديه عن العرب، ورأيناه يشير إلى ذلك في مقدمته حين قال: "إني أودعت هذا الكتاب ما صَحَّ عندي من هذه اللغة"، وهذا ما جعله يتخلى عن كثير من ألفاظ اللغة، لأنه اشترط أن يُثْبِت الصحاحَ فحسب، وبها سمّى كتابه "تاج اللغة وصحاح العربية"، وبذلك فالأمر ليس كما صَوّر صاحب القاموس فيما بعد، حين زعم أن الجوهري قد فاته نصف اللغة "بإهمال المادة أو ترك المعاني الغريبة النادرة"(٢٨)، فلكل منهجه وطريقته، ولو نظرنا في مادة "القاموس" لوجدنا صاحبه يتكثّر بذكر اللغات الرديئة إلى جوار اللغات الجيدة دون تمييز غالباً بين هذه وتلك. فحسب الجوهري أنه رسم المنهج، ووضع كتاباً كان قُدْوَةً لكل من أسهم في صنع المعجمات التي أخذت بمنهجه، فكانت الأوسع شمولاً في جمع اللغة وما يتصل بها من روايات أو أخبار أو أيام أو تراجم أو نحو أو صرف أو ما أشبه ذلك.

وأبرز هذه المعجمات "لسان العرب" لابن منظور(٧١١هـ)، و"القاموس المحيط" لمجد الدين الفيروز أبادي (٨١٧هـ)، و"تاج العروس من جواهر القاموس" للمرتضى الزبيدي (١١٧٠هـ). فهذه المعجمات أخذت بمنهج "الصحاح" ثم امتازت

بالشمول ضمن خصائص يتفرد بها كلّ منها. ونظرة إلى اللسان مثلاً تجعلنا نجد أنفسنا أمام صحاح الجوهري منهجاً وترتيباً، ثم نجد في مضمونه غزارة تجعل منه "موسوعة" شاملة، إذ يورد الأصول اللغوية، وكل ما لها من فروع، فيعرض اللهجات المختلفة، ويستشهد بالشعر وكلام العرب، وقد يروي نظائر بعض الشواهد، وقد يستطرد إلى الحديث عن أصحاب الشواهد أو مناسبة بعضها، وإذا به يذكر شيئاً عن أيام العرب أو عاداتهم أو أخبارهم أو الحوادث التي ارتبطت بهذا أو ذاك، وربما وقف على أوجه الخلاف حول صيغ بعض الألفاظ ولا سيما في بعض الشواهد، أو إعراب ما أشكل فيها، وبذلك يتحول اللسان إلى مصدر هام للدراسات في اللغة والأدب والأيام والأخبار والأنساب والأعلام وما إلى ذلك، وبالإضافة إلى هذا كله فهو يوثّق مادته، ويحدد مصادر روايته، ويميز كلامه من كلام مَنْ ينقل عنه.

وبهذا يكون الجوهري في الصحاح "قد أعطى منهجاً دقيقاً لتصنيف المعجمات التي أخذت بأواخر الأصول، كما قَدّم الزمخشري في "الأساس" المنهج الدقيق أيضاً للمعجمات التي أخذت بأوائل الأصول، وكلا المنهجين يلتقي الآخر في تسهيل المنهج، وقرب المتناول، ولم يصل علماؤنا إلى هذا المنهج المُيَسَّر إلاّ بعد مراحل طويلة من التطور والارتقاء بمناهج التصنيف.

وهذا يعني أن العرب لم يتأثروا في وضع معجماتهم بمؤثرات أجنبية، سواء على يد الخليل، أو على يد من جاء بعده، ذلك لأن الإغريق قد تقدّموا على العرب في وضع المعجمات، وألف علماؤهم عدداً منها قبل أن يطل الإسلام على آفاق الجزيرة، وكانت هذه المعجمات سهلة الترتيب، تأخذ بتصنيف الألفاظ على حروف المعجم.

ووجود هذه المعجمات عند الإغريق، قد يثير الشك بتأثر العرب بها، ولكن ثمة أدلة تنفي ذلك عند التحقيق، فالخليل لا يستطيع الاطلاع على معجمات الإغريق، لأنه

يجهل اليونانية، وحركة الترجمة لم تنشط إلاّ في عصر الرشيد، والرشيد بويع له بالخلافة سنة (١٧٠هـ)، وهي السنة التي يُرَجَّح أن يكون الخليل قد توفي فيها، ولو أن الخليل اطلع على منهج هذه المعجمات وما فيه من سهولة ويسر، لما رسم منهج كتاب العين على ما رأيناه فيه من تعقيد.

ثم إن الترجمة حين نَشطت أيام الرشيد وبعده لم تكن تُعْنَى بترجمة كتب الإغريق في الأدب واللغة، لأنهم لم يتذوقوا أدب الإغريق ليترجموه، وإنما اجتذبهم فكر الإغريق، فشُغِلوا بترجمة ما لديهم من طب وفلسفة، وهذا يعني أن علماء العربية ما كان لهم أن يطلعوا على معجمات الإغريق بعد الخليل، ولو أن أحدهم اطلع عليها لما ادعى أن الخليل في صنع كتابه "العين" كان له السّبْق منذ خلَق الله الدنيا، ومما يؤيد ذلك أن المعجمات العربية لم تبلغ حَدّ الكمال تصنيفاً وترتيباً إلاّ بعد مراحل طويلة من التدرج والانتقال من طور إلى طور، ولو أنهم اطلعوا على معجمات الإغريق، لاستطاعوا أن يبدأوا بالطريقة السهلة الواضحة، التي تقرب من فهم الخاص والعام، ولم يمرّوا بتلك المراحل المتعددة قبل أن يصلوا إليها، ولم يتجشموا عناء البحث عن طريقة أفضل كلما ظهرت طريقة جديدة بين أيديهم. وبذلك تكون المعجمات العربية على اختلاف أنماطها من إبداع الفكر العربي، ونتيجة لجهود علمائنا منذ القرن الثاني الهجري. [١٦٧]

[١٦٧] المعجمات العربية نشأتها وأطوار التأليف فيها ــ أ.دعبد الحفيظ السطلي ، مجلة التراث العربي-مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد ٧٧ - السنة ١٩ - تشرين الأول "اكتوبر" ١٩٩٩ - جمادى الأخرى - رجب ١٤٢٠

الإملاء

همزة الوصل وهمزة القطع

الهمز في اللغة الدفع بسرعة، تقول: همزتُ الفرس همزاً إذا دفعته بسرعة، قال صاحب اللسان:" هَمَزَهُ: دَفَعَهُ وَضَرَبَهُ، وكلُّ شَيْءٍ دَفَعْتَهُ، فَقَدَ هَمَزْتَهُ."[١٦٨]، وسمى الحرف المعروف الذي هو أول حروف الهجاء همزة؛ لأن الصوت يندفع عند النطق به لكلفته على اللسان، وقيل لما يحتاج في إخراجه من أقصى الحلق إلى ضغط الصوت، ومن ثم سميت نبرة لاندفاعها منه إذ النبر مرادف للهمز عند الجمهور تقول نبرت الحرف نبراً إذا همزته.[١٦٩]

والهمزة من أصعب الحروف في النطق وذلك لبعد مخرجها؛ إذ تخرج من أقصى اللسان، كما اجتمع فيها صفتان من صفات القوة هما الجهر والشدة.

ولثقل الهمز جرى أكثر العرب على تخفيف النطق به وذلك بتسهيل الهمزة، أو إبداله، أو إسقاطه، أو نقله، فأما التسهيل فهو لغة مطلق التغيير، أما اصطلاحا فهو النطق بالهمزة بين همزة وحرف المد المجانس لحركتها، فتجعل المفتوحة بين الهمزة المحققة والألف، وتجعل المكسورة بين الهمزة والياء المدية، وتجعل المضمومة بين الهمزة والواو المدية أي أن تصير الهمزة كالمدة في اللفظ، وأما الإبدال فهو لغة جعل شيء مكان آخر، تقول: أبدلت كذا بكذا إذا نحيت الأول وجعلت الثاني مكانه، واصطلاحا إقامة الألف والواو والياء مقام الهمزة عوضاً منها، أي إبدال الهمزة الساكنة والمتحركة على السواء حرف مد من جنس حركة ما قبلها، فتبدل بعد الفتح ألفا نحو: {وامر أهلك}، وبعد الكسر ياء نحو: {جيت}، وبعد الضم واوا نحو: {يومنون}، وأما الإسقاط، فهو لغة الطرح والإزالة، واصطلاحا حذف إحدى الهمزتين المتلاصقتين بحيث لا تبقى لها صورة، وينقسم قسمين: حذف الهمز مع حركته، وهذا القسم هو الذي يعبر عنه

---

[١٦٨] لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ، باب الزاي فصل الهاء (مادة هـ م ز).

[١٦٩] انظر: بحث لمحي الدين محمد عطية بعنوان" الهمزات في القرآن الكريم"، من منشورات شبكة الألوكة.

بالإسقاط غالباً، وحذف الهمز بعد نقل حركته وهو النقل الآتي ولم يأت إلا في المتحركة، وأما النقل فهو لغة التحويل، واصطلاحا تعطيل الحرف المتقدم للهمزة من حركته، ونقل حركة الهمزة إليه، فيسقط نحو: {قَدْ أَفْلَحَ}، بفتح الدال فتصبح (قدافلح). وقد يعبر عن هذه الأنواع الأربعة التي هي التسهيل والبدل والإسقاط والنقل ، بالتخفيف وقيل التخفيف هو التسهيل وقد يراد به معان أخرى، أما التحقيق فهو لغة مصدر حققت الشيء تحقيقا إذا بلغت يقينه، ومعناه المبالغة في الإتيان بالشيء على حقيقته وأصله المشتمل عليه، واصطلاحا عبارة عن النطق بالهمزة خارجة من مخرجها الذي هو أقصى الحلق كاملة في صفاتها وهو لغة هذيل وعامة تميم.

وترسم همزة الوصل وهمزة القطع على الألف في أول الكلمة، وكلتاهما متحركتان بالحركات الثلاث: الفتحة والضمة ترسمان فوق الألف، والكسرة ترسم تحت الألف.

همـزة القطـع:

من قواعد النطق بالحروف اللغوية أن الابتداء يكون بالحركة وأن الوقف يكون بالسكون، وقد يكون هذا الحرف المبدوء به همزة تثبت خطا ووصلا ووقفا وتسمى همزة قطع، وهي: ألف مهموزة أي يوضع فوقها همزة هذه الهمزة هي رأس عين صغيرة وترسم هكذا (ء) وتثبت ابتداء ووصلا، وتكون في أول الكلمة وفي وسطها وآخرها، وتظهر في النطق، وسميت همزة قطع لأنها تقطع بعض الحروف عند النطق بها عن بعض وتقع في الأسماء والأفعال والحروف، وحكم همزة القطع التحقيق دائما، وتوضع فوق الألف هكذا " أ " مضمومة ومفتوحة، وتوضع تحت الألف"إ" مكسورة، نحو قوله تعالى:" إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" النصر:١، ونحو: أُكرم ضيفي، والحياء شعبة من الإيمان، وأَحْسِن إلى الفقراء، وأعمل واجبي بانتظام، أكل الجائع الطعام، والبدء بهذه الهمزة يكون بحركتها من فتح أو ضم أو كسر، وتكون في جميع الأسماء والضمائر المهموزة الأول، وإذا الشرطية، مثل: إبراهيم، أحمد، أنا، أنت، إذا، ماعدا الأسماء المسموعة عن

العرب بهمزة وصل، أما إذا كان الحرف الأول من كلمة الابتداء ساكنا فيؤتى بهمزة يتوصل بها إلى النطق بهذا الحرف الساكن وتسمى هذه الهمزة " همزة الوصل " تثبت خطا وتحذف عند النطق بها وصلا، وإليك عزيزي القارئ مواضع كل منها بشيء من التفصيل:

أولاً: همزة القطع في الأسماء :

قال تعالى:{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} (طه:١٣)، وقال تعالى:{فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ} (المائدة: الآية١١٧). و{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ} (مريم: الآية٤١). و{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} (البلد:١٨). و{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} (الأحقاف: الآية٣٥). و{أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ} (النساء: الآية٧٨). و{وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (النحل: الآية٢١). و{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} (الانشقاق:١)، وهكذا تكون همزات الأسماء كلها_ عدا الأسماء المخصوصة بهمزة الوصل– همزات قطع سواء كان الاسم ضميرا أو علما أو اسم إشارة أو ملحقا بجمع المذكر السالم أو أسم شرط جازم أو غير جازم.

ثانياً: همزة القطع في الأفعال :

تأتي همزة القطع في الأفعال المبدوءة بها على التفصيل التالي:

١–همزة الفعل الماضي الثلاثي المبدوء بها، نحو: أمر، أخذ، أبق، أجج والأَجِيجُ: تَلَهُّبُ النَّارِ، أخذ، ومنه كذلك: أبش: الأَبْشُ: الجمْع. وَقَدْ أَبشه وأَبَشَ لأَهله يَأْبشُ أَبْشاً: كَسَب، وكذلك المصدر من تلك الأفعال همزاتها همزة قطع.

٢–همزة الماضي في الفعل الرباعي: كما في قوله تعالى:{ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً} الطلاق:١١، وهمزة الأمر من الفعل الرباعي: كما في قوله تعالى:{وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ} القصص:٧٧، وهمزة المصدر من الفعل الرباعي: كما في قوله تعالى:{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

إِحْسَاناً } (الأحقاف:١٥)، ونحو: أكرم . أكرْم . إكرام، وأعطى . أعْط . إعطاء، وأنشأ . أنْشئ . إنشاء، وأقبل. أقْبِل. إقبال.

٣-الفعل المضارع المهموز الأول، مثل: أستعملُ . أستعينُ . أنعطفُ . أستشيرُ . أتعلمُ، أكرمُ . أحسنُ . أكتبُ . أجلسُ.

ثالثاً: همزة القطع في الحروف:

تأتي همزة القطع في جميع الحروف المهموزة الأول، مثل: إلى . إنما . إنَّ . أنَّ . إنْ . أن . إذ ما، ما عدا " أل " التعريف عند اتصالها بالاسم، نحو قوله تعالى: {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً } (المائدة: ٤٨). و{إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا} (النحل: ١٢٨). و{إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} (لأنفال: ٦٥). و{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا} (النازعات:٢٧).

همـزة الوصـل:

علمنا أنه لا يبدأ بساكن كما لا يوقف على متحرك، فإذا كان أول الكلمة ساكنا وجب الإتيان بهمزة متحركة توصلا للنطق بالساكن وتسمى هذه الهمزة همزة وصل وشأنها أنها تثبت في الابتداء وتسقط في حالة الوصل وهي ألف غير مهموزة أي لا يوضع فوقها همزة وترسم هكذا (صـ) على الألف أي أن علامتها وجود صاد صغيرة على الألف، وسميت همزة وصل لأنها يتوصل بها إلى النطق بالحرف الساكن الواقع في ابتداء الكلام عند إرادة النطق به، وتكون في الأسماء والأفعال والحروف، نحو: انتصر المسلمون في معركة بدر، كان انتصارهم تعزيزا لوحدة المسلمين، سر على الرصيف وانتبه لحركة السيارات، استعمل يوسف فرشاة الأسنان، ينصح الأطباء باستعمال السواك، استفد من تجارب الآخرين، اقرأ دروسك واعمل واجباتك أولاً فأولاً، يعد امرؤ القيس أول طبقات الشعراء في العصر الجاهلي، اثنان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال، وإليك مواضع همزة الوصل بشيء من التفصيل:

أولاً: في الأسماء

•الهمزة في الأسماء الآتية همزة وصل:

"ابن وابنة" كما في قوله تعالى: {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ } (مريم: الآية٣٤)، قوله تعالى: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ} (التحريم: الآية١٢)، و" امرؤ وامرأة "، كما في قوله تعالى {إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ} (النساء: الآية١٧٦)، وقوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ}(التحريم: الآية١١)، و" اثنان واثنتان "، كما في قوله تعالى: {إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} (المائدة:١٠٦)، وقوله تعالى: {فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ} (النساء: الآية١١)، و" اسم " كما في قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} آل عمران:٤٥، واست: أي الدبر، وابنم وهي ابن بزيادة الميم، وايم الله وايمن الله في القسم، تقول: ايمن الله لأفعلن كذا وكذا أو ايم الله لأفعلن...

•همزة المصدر الخماسي: كما في قوله تعالى {إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي} الممتحنة: الآية١.

•همزة المصدر السداسي: كما في قوله تعالى {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاه} (التوبة: الآية١١٤).

•الأسماء المعرفة بأل: كما في قوله تعالى: { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف ٤٣.

ثانياً: في الأفعال:

أ. ماضي الفعل الخماسي والسداسي، والأمر منهما ومصادرها. مثل: انتصر، انتهى، استعان، استعمل، انتصر، انته، استعن، استعمل انتصار، انتهاء، استعانة، استعمال.

ب . أمر الفعل الماضي الثلاثي. مثل: ارسم، اكتب، اجلس، اذكر، اشرب.

ج . همزة " أل " التعريف إذا اتصلت بالكلمة. مثل: الكتاب، الصدق، ونأخذ أمثلة من القرآن الكريم، قال تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآياتِ} (المائدة: الآية٧٥)، {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} (الملك: الآية١٥)، {قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ} (يوسف: الآية٥٠)، {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} (طه:٢٤)، {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ } (القصص: الآية٧٧)، {اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة} (البقرة: الآية١٥٣)، {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} (الانشقاق:١)، {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} (فصلت: الآية٣٠).

ثالثاً: في الحـروف

أما مكان همزة الوصل في الحروف فتكون مع حرف اللام في كل الأسماء التي تدخل عليها اللام الشمسية أو القمرية نحو قوله تعالى: { الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ }،{ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} وحكم الهمزة في هذه الحالة الفتح وجوبا.

فائدة:

وردت كلمة الأيكة في أربعة مواضع في القرآن الكريم:

اثنان بإثبات همزة الوصل قبل اللام الساكنة وهما {وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ} (الحجر: ٧٨)، {وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ } (ق: ١٤) فتقرأ {أصحاب الأيكة} بدءاً ووصلا لجميع القراء.

واثنان بحذف همزة الوصل، وهما {كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ } ((الشعراء: ١٧٦)، {وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ} (ص: ١٣) على اعتبار سقوطها وصلاً.

أما في حالة البدء بها فقد اختلف القراء في ذلك: بعضهم أتى بهمزة الوصل ليتوصل بها للنطق باللام الساكنة، ومنهم حفص فقرؤوها عند البدء {لْئَيْكَةِ}، والبعض الآخر قرأها بلام مفتوحة وحذف الهمزة التي بعدها فقرؤوها {لَئِيكَة}.

قائمة المصادر والمراجع:

الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

الألفاظ (الكتابة والتعبير)، أبي منصور الباحث محمد بن سهل بن المَرْزُبان الكرخي (ت: نحو ٣٣٠هـ)، المحقق: د. حامد صادق قنيبي، دار البشير، عمان الأردن، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

الإيضاح في علوم البلاغة، تأليف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر المعروف بالخطيب القزويني(ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، لبنان، ط ٣، ٣: ١٩٦-١٩٧، بدون تاريخ.

تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، الإسكندرية، مصر، بدون.

التصريف الملوكي لان جنى، تحقيق: د/البدراوي زهران رحمه الله، بدون.

التطبيق الصرفي، د. عبده الراجحي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الأزدي الحميدي(ت: ٤٨٨هـ)، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، مصر، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

تهذيب اللغة تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

توضيح النحو شرح ابن عقيل وربطه بالأساليب الحديثة والتطبيق، د. عبد العزيز فاخر، المكتبة الأزهرية للتراث، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١٩٩٢م.

جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.
الجملة الاسمية، د/ حسن مغازي، كلية الآداب، بدون.

حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت: ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م

حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه كتاب شرح الشاهد للعيني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، بدون تاريخ.

الخصائص الجمالية في الحديث النبوي الشريف، د. مليكة حفان، بحث منشور بمجلة الإحياء، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، بدون تاريخ أو رقم العدد.

دروس التصريف، محمد محي عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

ديوان طرفة بن العبد، تحقيق :عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت ، ط ٢٠٠٣ م .

سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي(ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: أحمد فريد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون.

سهم الألحاظ في وهم الألفاظ، محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي رضي الدين المعروف بـ ابن الحنبلي (المتوفى: ٩٧١هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢، ١٩٩٨م.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ٢٠،١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (ت: ٧٠٢هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٦، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

شرح شافية ابن الحاجب في الصرف، الرضي الإستراباذى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٩٧٥م.

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، جمال الدين أبي محمد عبدالله بن يوسف المعرف بأبي هشام الأنصاري(ت: ٧٦١هـ)، تنقيح: محمد أبو فضل عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش بن محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٧٩٥هـ)، تصنيف: محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح وإخراج: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، ط ١٣٧٩هـ.

في إصلاح النحو العربي دراسة نقدية، عبد الوارث مبروك سعيد، دار القلم، الكويت، ط١، ١٩٨٥م.

قواعد الصرف أسلوب العصر، د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

القواعد العربية الميسرة، د. يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت، بدون.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.

مختار القاموس، الطاهر أحمد الزاوي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ١٩٨٤م.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، القاهرة، بدون.

المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، المحقق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

مقال التحرير العربي، د. رجب أحمد المكاوي، وآخرون، كلية دار العلوم جامعة المنيا ، ٢٠١٦م / ٢٠١٧م.

المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق د/ عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، بدون.

المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث القديم، ط١، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.

نثر الدر في المحاضرات، منصور بن الحسين الرازي(ت: ٤٢١هـ)، المحقق: خالد عبدالغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

النحو المصفى، د. محمد عيد، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

نحو العربية، عبداللطيف محمد الخطيب، وسعد عبد العزيز مصلوح، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

نزهة الطرف في علم الصرف لابن هشام، تحقيق: د أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط ١٩٩٠م.

نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي رحمه الله، المحقق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، دار المعارف ، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م-١٤٢٦هـ.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)ن المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية، مصر، بدون.

ثانيا:

شبكة الإنترنت العنكبوتية.